الفصل الثَّالث

مصادر النَّصرانيَّة

المبحث الأوَّل : الكتاب المقدَّس .

المبحث الثَّاني : المجامع النَّصرانيَّة .

الفصل الثَّالث

مصادر النَّصرانيَّة

النصارى يستمدُّون عقائدهم وتشريعاتهم من مصدرين أساسيَّين هما :

أوّلًا : الكتاب المقدَّس .

ثانيًا : المجامع النَّصرانيَّة .

★★★★

المبحث الأوَّل

الكتاب المقدَّس

النَّصارى يقدسون كُلًّا من العهد القديم والعهد الجديد ويَضُمُّونها معًا في كتاب واحد يطلقون عليه اسم « الكتاب المقدَّس » .

والعهد القديم : هو التَّوراة والكتب الملحقة بها ، وقد سبق ذكرها وتعريفها .

أما العهد الجديد : فهو يحتوي على سبعة وعشرين سفرًا هي :

١ - إنجيل متَّى ٢ - إنجيل مرقص ٣ - إنجيل لوقا ٤ - إنجيل يوحنا ٥ - أعمال الرسل ٦ - رسالة بولس إلى أَهل رومية ٧ - رسالة بولس الأُولَى إلى أهل كورنثوس ٨ - رسالة بولس الثَّانية إلى أهل كورنثوس ٩ - رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١٠ - رسالة بولس إلى أهل أفسس ١١ - رسالة بولس إلى أهل فيلبي ١٢ - رسالة بولس إلى أهل كولوسي ١٣ - رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ١٤ - رسالة بولس الثَّانية إلى أهل تسالونيكي ١٥ - رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ١٦ - رسالة بولس الثَّانية إلى تيموثاوس ١٧ - رسالة بولس إلى تيطس ١٨ - رسالة بولس إلى فليمون ١٩ - الرسالة إلى العبرانيين ٢٠ - رسالة يعقوب ٢١ - رسالة بطرس الأولى ٢٢ - رسالة بطرس الثَّانية ٢٣ - رسالة يوحنا الأولى ٢٤ - رسالة يوحنا الثَّانية ٢٥ - رسالة يوحنا الثَّالثة ٢٦ - رسالة يهوذا ٢٧ - رؤيا يوحنا اللاهوتي .

وسنبيِّن في هذه الدِّراسة الموجزة حال الأناجيل خاصَّة لأهمِّيتها :

الأناجيل

الإنجيل كلمة يونانية تعني الخبر الطَّيب[١] (البشارة) .

وفي الحديث عن الأناجيل سنبيِّن ثلاثة أنواع منها وهي :

١- إنجيل المسيح عليه السَّلام .

٢- الأناجيل الأربعة .

٣- إنجيل برنابا .

★★★★

(١) قاموس الكتاب المقدَّس ص ١٢٠ .

المطلب الأول

إنجيل المسيح عليه السَّلام

الإنجيل في الأصل : هو الكتاب الَّذي أنزله اللَّه عزَّ وجلَّ على عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام هدى ونور . قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

وقد دعى المسيح عليه السَّلام بني إسرائيل للأخذ بالإنجيل والإيمان به .

☜ فقد جاء في « إنجيل مرقص » (١ / ١٤) : « **وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت اللَّه ، ويقول : قد كمل الزَّمان واقترب ملكوت اللَّه فتوبوا وآمنوا بالإنجيل** » .

إلَّا أنَّ هذا الإنجيل الَّذي نزل على المسيح عليه السَّلام لا وجود له بين يدي النَّصارى وليس هو من ضمن الأناجيل المكتوبة الَّتي يقدِّسها النَّصارى ، مع التَّصريح السَّابق بوجوده وطلب الإيمان به ، كما ذكره أيضًا أوائل النَّصارى ودعوا إلى الإيمان به .

☜ وفي هذا يقول « سِفْر أعمال الرُّسل » ٨ / ٢٥ عن بطرس ويوحنا في دعوتهما للسَّامريِّين من اليهود : « **وكما شهدا وتكلَّما بكلمة الرَّبِّ رجعا إلى أورشليم وبشَّرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسَّامريين** »[١] .

---

(١) هذا النَّصُّ مأخوذ من نسخة الكتاب المقدَّس المطبوعة في لبنان عام ١٩٩٢ م بعناية اغناطيوس زياده / دار الكتاب المقدَّس في الشَّرق الأوسط ، وهي النسخة الكاثوليكية ، أمَّا النسخة العبرانية الَّتي استخدمها في العادة فمكتوب عليها « دار الكتاب المقدَّس في القاهرة » وهي النُّسخة البروتستانتية ولا يُوجَدُ فيها كلمة الإنجيل في هذا الموضع .

وذكره « بولس » أيضًا في رسائله ، منها قوله في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي (٢ / ٢) « **جاهرنا في إلهنا أن نكلِّمكم بإنجيل اللَّه في جهاد كثير لأنَّ وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر ، بل كما استُحْسِنا من اللَّه أن نؤتمن على الإنجيل هكذا نتكلَّم ..** » ثم يقول : « **... فإنَّكم أيُّها الأخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذ كنَّا نكرز لكم بإنجيل اللَّه ..** »[(١)] .

فإذًا الإنجيل كان كتابًا موجودًا ومعروفًا لدى النَّصارى بأنَّه إنجيل اللَّه أو إنجيل المسيح . إلَّا أنَّ هذا الإنجيل لا نجده بين الأناجيل الموجودة اليوم فأين هو ؟

على النَّصارى أن يجيبوا على هذا السؤال . أو يعترفوا بأنَّهم فَقَدُوه في زمن مبكر من تاريخهم ، ولعلَّ هذا هو الأرجح .

إذ يقول اللَّه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ١٤] .

○○○○

(١) وانظر أيضا ذكره للإنجيل في رسالته إلى أهل رومية (١ / ١ ، ٩ ، ١٦) ، ورسالته الأولى إلى تيموثاوس (١ / ١١) .

المطلب الثاني

الأناجيل الأربعة

سبق أن بيَّنَّا أنَّ الإنجيل الَّذي أنزل على المسيح عيسى عليه السَّلام لا يعلم النَّصارى عنه شيئًا ، وقد صار عندهم بدلًا عنه أربعة أناجيل هي : إنجيل متَّى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا . وهذه الأناجيل الأربعة لم يُنسب واحد منها إلى المسيح عليه الصَّلاة والسَّلام ، وإنَّما هي منسوبة إلى هؤلاء الأشخاص ، الَّذين يزعم النَّصارى أَنَّ اثنين منهم من الحواريِّين وهما : « **متَّى ويوحنا** » ، واثنين أحدهما « **مرقص** » تلميذ بطرس . والآخر « **لوقا** » تلميذ بولس في زعمهم .

وهذه الأَناجيل تحتوى على تاريخ لعيسى عليه السَّلام حيث ذكر فيها ولادته ثم تنقُّلاته في الدَّعوة ثم نهايته بصَلبه وقيامته ثم صعوده إلى السَّماء في زعمهم ، كما تحتوي على مواعظه وخطبه ، ومجادلاته مع اليهود ، ومعجزاته الَّتي كان يظهرها للنَّاس ؛ دليلًا على صدقه في أنَّه مُرسَلٌ من اللَّه ، فهذه الأناجيل أشبه ما تكون بكتب السِّيرة ، إلَّا أنَّ فيها اختلافات ليست بقليلة ، وبعضها اختلافات جوهريَّة لا يمكن التَّوفيق بينها إلَّا بالتعسُّف ـ كما سيتبيَّن .

والقارئ لهذه الأناجيل الأربعة ؛ يستطيع بسهولة أن يُدرِكَ أنَّ ما ورد فيها من دعوة وخطب ومواعظ ومجادلات ؛ تعود إلى مطلبين أساسيَّين ، ركَّز المسيح عليهما بحيث غلبا على دعوته وهما :

١ـ الدَّعوة إلى التَّوبة والأخذ بروح الشَّريعة الَّتي جاء بها موسى عليه السَّلام .

٢ ـ التَّبشير بقرب قيام مملكة اللَّه الَّتي يتحقَّق فيها العدل والمساواة[1] .

(١) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها . شارل جنيبر ص ٤٩ ، النَّصرانية والإسلام ص ١٤ .

١ـ تاريخ الأناجيل الأربعة إجمالًا

قبل الحديث عن تاريخ الأناجيل الأربعة لدى النَّصارى لابُدَّ أن نبيِّن أنَّ الكتب المقدَّسة كتبٌ لها مكانتها العظيمة لدى أتباعها ، ولها دور خطير في هذه الحياة إذ هي الَّتي توضِّح الطَّريق إلى سعادة الدُّنيا وفوز الآخرة . فلهذا يجب أن تكون هذه الكتب ثابتة السَّند إلى أصحابها الَّذين هم رسل اللَّه والمبلِّغون عنه عزَّ وجَلَّ ، فإذا لم تكن كذلك فإنَّها تفقد قيمتها ، إذ تكون عرضة للتَّحريف والتَّبديل من قبل أصحاب الأهواء والضَّلالات ، أو من قبل العوارض البشريَّة كالنِّسيان وقلَّة العلم والوهم ونحو ذلك .

فصحَّةُ الإسناد بعدالة رواته وضبطهم وعدم انقطاعه هو السَّبيل الَّذي يمكن به وصول هذه الكتب إلى النَّاس سليمة صحيحة كاملة ، فيتعرف النَّاس على الحقِّ من خلالها .

وإذا نظرنا إلى كتب الحديث عند أهل الإسلام عرفنا الجهد العظيم الَّذي بذله أولئك الأئمة في المحافظة على حديث رسول اللَّه ﷺ سليمًا صحيحًا ، بحيث يستطيع المسلم في القرن الخامس عشر الهجري أن يعرف درجة الحديث من حيث الصِّحة وعدمها .

أمَّا القرآن الكريم : فثبوته بلفظه وحروفه وقراءته ، قد ثبته كبار أصحاب رسول اللَّه ﷺ بجمعه في مصحف واحد في زمن أبي بكر رضي اللَّه عنه ثم جمع النَّاس على قراءةٍ واحدةٍ في زمن عثمان رضي اللَّه عنه ، ويتناقله كثير من المسلمين إلى هذا الزمن بالتَّواتر منهم إلى رسول اللَّه ﷺ بحيث أنَّه لا مجال حتَّى للشَّكِّ في شيءٍ من حروفه فضلًا عن وقوع التَّحريف فيه ، وللمسلمين

ميزة في هذا الأمر لم تكن لا لليهود ولا للنَّصارى ولا لغيرهم ، وذلك أنَّ المسلمين يحفظون كتاب اللَّه عن ظهر قلب ، ويتلونه آناء الليل وأطراف النَّهار وهذا الحفظ له لا يجعل هناك ارتباطًا قويًّا بالمكتوب ، كما حدث لليهود لما فقدوا كتابهم لم يكن فيهم من يستطيع أن يعيده إليهم ، إذ أنَّهم لا يحفظونه ولا يتداولون نسخه ، فأدَّى ذلك إلى فقدانه ومحاولة تجميعه من الذِّكريات .

وإذا بحثنا في إسناد ما بين يدي النَّصارى من الكتب يتبيَّن أنَّ الأناجيل الأربعة متَّى ـ مرقص ـ لوقا ـ يوحنا ، منسوبة كما سبق بيانه إلى اثنين من الحواريِّين وهما متَّى ـ ويوحنا . أما الأخران : فأحدهما منسوب إلى مرقص وهو في كلامهم تلميذ لبطرس الحواريّ ، والآخر منسوب إلى لوقا وهو في كلامهم تلميذ لبولس (شاؤول اليهودي) .

وإذا بحثنا في التَّاريخ لدى النَّصارى عن إسناد لهذه الكتب إلى هؤلاء النَّاس الَّذين تُنسَبُ إليهم لا نجد من ذلك شيئًا البتَّة لا قليلًا ولا كثيرًا . ورسائل بولس ، وكذلك الرسائل الأخرى ، وأعمال الرسل ، ليس في شيء منها الإشارة إلى واحد من هذه الكتب الأربعة بحيث يتَّضح للنَّاظر والباحث أنَّ هذه الكتبَ لم تكن معروفة في ذلك الزَّمن ولم يطلع عليها أحد منهم ، وفي هذا دلالة قويَّة على أنَّ نشأة هذه الكتب وظهورها كان متأخِّرًا عن هذه الرسائل ، بخلاف إنجيل اللَّه أو إنجيل المسيح فقد ورد ذكره في كلام بولس مرارًا عديدة كما ورد ذكره في إنجيل مرقص ، وأعمال الرُّسل مما يدلُّ على وجوده وأنَّه معروف معلوم[1] .

---

(١) سبق ذكر ذلك ص ١٣٦ .

وقد حاول النَّصارى أن يجدوا لهذه الكتب إسنادًا أو إخبارًا عنها في كلام متقدميهم يتَّفق مع الزَّمن الَّذي يُدَّعَى أنَّها كُتِبَتْ فيه وذلك في الرُّبع الأخير من القرن الأوَّل الميلاديِّ على أكثر تقدير . إلَّا أنَّ هذه المحاولات باءت بالفشل الذَّريع ممَّا اضطرهم إلى الاعتراف بأنَّ هذه الكتب لم تُعرَفْ إلَّا بعد موت من تُنسَبُ إليه بعشرات السِّنين ، ممَّا يجعل نسبتها إلى أولئك النَّاس نسبة لا تَقُومُ على أدنى دليل وإليك بعض كلام النَّصارى في هذا الأمر :

يقول الدُّكتور القس فهيم عزيز الأستاذ بكليَّة اللاهوت الإنجيليَّة : « لكن قانونية[1] أَسْفار العهد الجديد لم تتمّ في وقت واحد ولم يكفها جيل أو جيلان بل استمرَّت مدَّة طويلة ، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفًا موحَّدًا من الأسفار المختلفة ، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار واستمرَّت في ذلك حقبة طويلة ، فلهذا يلزم تتبُّع هذا التَّاريخ الطَّويل لقانونيَّة أسفار العهد الجديد .

الكنيسة الأولى : يوم الخمسين[2] ـ ١٠٠ م :

من المعلوم جيِّدًا أنَّه لم تكن في تلك الفترة كتب مقدَّسة تُسَمَّى العهد الجديد[3] ولكنَّ الكنيسةَ لم تمكث بدون مصادر إلهيَّة تستند عليها في كُلِّ شيءٍ من وعظ وتعاليم وسلوك ومعاملات ، وقد كان لها في هذا المجال ثلاثة مصادر » .

---

(١) ذكر الدكتور القس فهيم عزيز أنَّ المراد بكلمة القانون هو الكتاب الَّذي اعترفت به الكنيسة ، فقانونية العهد الجديد أي اعتراف الكنيسة بالعهد الجديد .

(٢) يوم الخمسين : هو من الأَعياد اليهوديَّة ويزعم النَّصارى أنَّ الرُّوح القدس بعد رفع المسيح حلَّ على الحواريِّين في يوم الخمسين فتكلَّموا بلغات كثيرة ـ ويتَّخذه النَّصارى عيدًا أيضًا ويُسمُّونه عيد العنصرة . انظر : قاموس الكتاب المقدَّس ص ٣٥٠ .

(٣) مراده أنه إلى نهاية عام ١٠٠ م ليس هناك ما يُعرَفُ بالعهد الجديد ، أي أنَّ الأناجيل والكتب الأخرى غير معروفة في ذلك الزَّمن ، ويعني ذلك أنَّه لم تكتب وتدوَّن إلَّا بعد ذلك .

ثم ذكر أنَّ الثَّلاثة مصادر هي : العهد القديم ، المسيح ، الرّسل ، ثم قال :

« ثانيًا : ١٠٠ ـ ١٧٠ م ظهور الكتب القانونيَّة في العهد الجديد :

كانت أوَّل مجموعة عرفتها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل بولس . فهي أوَّل ما جمع من كُلِّ كتب العهد الجديد ، ولقد كتب بولس رسائله إلى كنائس وأفراد لظروف خاصَّة ومواقف محددة ... »

ثم يقول : « ...أمَّا المجموعة الثَّانية : فهي مجموعة الأناجيل الأربعة ، وقد ظهرت هذه المجموعة متأخِّرة بعض الوقت عن مجموعة كتابات بولس .

ومع أنَّ تاريخ اعتبارها كتبًا قانونيَّة مقدَّسة متساوية في ذلك مع كتب العهد القديم لا يزال مجهولًا ، لكن الاقتباسات العديدة الَّتي وجدت في كتابات آباء الكنيسة الرّسوليين وشهاداتهم تُلقِي بعض الضَّوء على هذه الحقيقة الجوهريَّة في العصر المسيحيِّ ويلاحظ الدَّارِسُ الأمور الآتية :

١ ـ أنَّ بولس لم يشر في كتاباته إلى أيٍّ من الأناجيل المكتوبة ولا إلى أيِّ كتاب عن حياة المسيح أو أقواله ... » .

ثم يذكر المصنِّفُ سبع نقاط أخرى يذكر في بعضها اقتباسات لمتقدِّمين من النَّصارى تتوافق في بعضها مع ما ورد في بعض الأناجيل بدون النَّصِّ على ذكر الأناجيل[1] .

---

(١) المراد بالاقتباسات هي ذكر بعض الجمل ممَّا يتَّفق مع ما يُوجَدُ في الأناجيل ، إلَّا أنَّ هذا ليس فيه دلالة على وجود تلك الأناجيل في تلك الفترة واطلاع هؤلاء الَّذين اقتبسوا تلك الجمل عليها إلَّا باحتمال ضعيف ، والاحتمال الأقوى هو أنَّ الجميع كانوا يأخذون من مصدر واحد كان متوفِّرًا ومثبوتًا في كتب عديدة أو أنَّ الرِّوايات الشَّفويَّة كانت منتشرة يحفظ هذا منها قليلًا وذاك منها قليلًا ، وهذا أمر آخر غير ما يُدَّعَى في الأناجيل .

وأهم ما ذكره من الملاحظات : هي قوله في « **الملاحظة السّابعة والثّامنة** » ما يلي :

« **٧ـ أمّا جاستن الشّهيد الّذي كان سامريًّا يونانيًّا وتحوّل إلى المسيحيّة ودرس في روما واستشهد حوالي ١٦٥ م فيؤخَذ من كتاباته أنّه قد عرف الأناجيل الأربعة مرتبطة معًا ، مع أنّه لم يكشف النّقاب عمّن جمعها ولا في أيّ مكان جمعت ، وهو يصفها عندما يذكرها في دفاعه ضدّ الوثنيّين بأنّها الذّكريات ، ولكنّه عندما كان يكتب للمسيحيّين كان يقول عن الرّسل[١]: هم أولئك الّذين كتبوا ذكرياتهم عن كُلّ الأَشياء الّتي تختصّ بيسوع المسيح المخلّص . ثُمّ يقول مرّة أخرى : الذّكريات الّتي عملها الرّسل الّتي تُسمّى الأناجيل [٢] .**

٨ ـ أمّا الشّاهد الأخير فهو « الديا طسرن » الّذي كتبه تاتيان ، وأراد أن يجمع فيه الأناجيل الأربعة معًا ، في إنجيل واحد ، وقد أَضاف تاتيان هذا بضعة كلمات للمسيح لم تُوجَد في هذه الأناجيل ، ولكنّها أُخِذَت من كتب أبو كريفية[٣]أخرى ، وهو بذلك يشهد أنّ الأَربعة الأناجيل وُجِدَتْ

---

(١) يُلاحَظُ هنا : أن النّصارى يستخدمون كلمة الرّسل يعبّرون بها عن دعاة النّصارى الأوائل باعتبار أنّهم رسل ربهم المسيح أو رسل الرّوح القدس : فلاحظ هذا ولا يختلط عليك الأمر بالرّسل من قِبَلِ الله عزّ وجَلّ .

(٢) هذا الشّاهد في الواقع لا قيمة له لأنّ جاستن لم ينصّ على اسم شيء من تلك الكتب وهي الأناجيل كما أنّ تلك الفترة الّتي يتحدّث عنها كان يُوجَدُ لدى النّصارى عشرات الأناجيل الّتي تُنسَبُ إلى الحواريين وهم رفضوها فيما بعد ماعدا هذه الأناجيل الأربعة فإذًا احتمال أنّه يشير إلى غير هذه الأربعة المعروفة وارد وهو وارد قويٌّ .

(٣) أبوكريفية : أي غير قانونيّة ولا معترف بها . انظر : قاموس الكتاب المقدّس ص ١٨ .

معًا ، ولكن إضافاته مجرَّد اقتباسات لا تدلُّ على أنَّه كان يعتبر أنَّ هناك كتبًا أخرى تضارعها في سلطانها وقداستها »[١] .[٢]

وبعد هذا النقل المطوَّل عن أحد القسس المتعمِّقين والمتخصِّصين في دراسات العهد الجديد ، ننقل كلام مجموعة من المتخصِّصين النَّصارى عن أناجيلهم وذلك في المدخل إلى العهد الجديد قالوا في التَّعريف بقانونيَّة العهد الجديد ما يلي :

« إن كلمة قانون اليونانية مثل كلمة قاعدة في العربيَّة قابلة لمعنى مجازيٍّ يُرَادُ به قاعدة للسُّلوك أو قاعدة للإيمان ، وقد استُعمِلَتْ هنا للدَّلالة على جدول رسميٍّ للأسفار الَّتي تعدها الكنيسة ملزمة للحياة والإيمان .

ولم تندرج هذه الكلمة بهذا المعنى[٣] في الأدب المسيحيِّ إلَّا منذ القرن الرَّابع ، كانت السلطة العليا في أمور الدِّين تتمثَّل عند مسيحي الجيل الأَوَّل في مرجعين :

أولهما : العهد القديم ، وكان الكتبة المسيحيُّون الأَوَّلون يستشهدون بجميع أَجزائه على وجه التَّقريب استشهادهم بوحي اللَّه .

وأمَّا المرجع الآخر الَّذي نما نموًا سريعًا فقد أَجمعوا على تسميته : أقوال الرَّبّ[٤]!

---

(١) هنا تناقض القسيس في كلامه فهو قبلُ زعم أنَّه لا يعرف تاريخ اعتبار هذه الكتب قانونية وهو هنا يزعم أنَّ تاتيان يرى قداسة هذه الأناجيل الأربعة وأنَّ غيرها لا يضارعها في ذلك . وهذا تناقض واضح .

(٢) المدخل إلى العهد الجديد للدكتور القس فهيم عزيز من ص ١٤٦ - ١٥٢ ، إصدار / الثَّقافة المسيحيَّة طبع مطبعة دار الجيل .

(٣) أي أنَّ الأناجيل الأربعة لم يكن معترفًا بها إلَّا في القرن الرَّابع الميلادي .

(٤) مرادهم بالرب هنا هو المسيح عليه السَّلام .

ولكن العهد القديم كان يتألَّف وحده من نصوص مكتوبة ، وأمَّا أقوال الرَّبِّ وما كان يبشِّر به الرُّسل ، فقد تناقلتها أَلْسِنَةُ الحفَّاظِ[1] مدَّة طويلة ، ولم يشعر المسيحيون الأوَّلون إلَّا بعد وفاة آخر الرُّسل بضرورة كُلّ من : تدوين أهم ما علَّمه الرسل ، وتولِّى حفظ ما كتبوه ..

ويبدو أنَّ المسيحيين حتَّى ما يقرب من السنة ١٥٠ م ، تدرَّجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلَّا قليلًا جدًا إلى الشُّروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأَسفار المقدَّسة ، وأغلب الظَّنّ أنَّهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنيسيَّة ، ولم تكن غايتهم قط أن يؤلِّفوا ملحقًا بالكتاب المقدَّس بل كانوا يَدَعُون الأَحداث توجِّههم ، فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة افي حين إن التقليد الإنجيليّ كان لا يزال في معظمه متناقلًا على أَلسِنَةِ الحفَّاظِ .

ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدَّة ظهورًا واضحا كما يظهر شأن رسائل بولس .

أجل لم تخل مؤلَّفات الكتبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأَناجيل أو تلمح إليها ، ولكنَّه يكاد أن يكون من العسير في كُلِّ مرَّة الجزم : هل الشَّواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين أيدي هؤلاء الكتبة ، أم هل اكتفوا باستذكار أجزاء من التَّقليد الشَّفهيِّ .

ومهما يكن من أمر ، فليس هناك قبل السنة ١٤٠ م أي شهادة تُثبِتُ أنَّ النَّاس عرفوا مجموعة من النُّصوص الإنجيليَّة المكتوبة ، ولا يذكر أنَّ لمؤلَّف من

---

(١) قولهم : « الحفاظ » هنا كلمة فيها تجوُّزٌ شديد يتبيَّن هذا من خلال النَّظر فيما دوّن وأنَّه مليء بالأخطاء والاختلافات .

تلك المؤلَّفات صفة ما يلزم ، فلم يظهر إلَّا في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني شهادات ازدادت وضوحًا على مرِّ الزَّمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وأنَّ بها صفة ما يلزم ، وقد جرى الاعتراف بتلك الصِّفة على نحو تدريجيٍّ .

فيمكن القول إنَّ الأَناجيل الأَربعة حظيت نحو السنة ١٧٠ م بمقام الأدب القانوني وإن لم تُستَعْمَل تلك اللفظة حتَّى ذلك الحين .

لم يوضح (لم يستقر) الجدول التَّام للمؤلَّفات العائدة إلى القانون إلَّا على نحو تدريجيٍّ وكلَّما تحقَّق شيءٌ من الاتِّفاق . فهكذا يجدر بالذِّكر ما جرى بين السنة ١٥٠ م والسنة ٢٠٠ م إذ حدد على نحو تدرجيٍّ أنَّ سِفْر أعمال الرُّسل مؤلَّفٌ قانوني وقد حصل شيء من الإِجماع على رسالة يوحنا الأولى .

ولكن ما زال هناك شيء من التَّردُّد في بعض الأمور : فإلى جانب مؤلَّفات فيها من الوضوح الباطني ما جعل الكنيسة تتقبَّلها تَقَبُّلها لما لابُدَّ منه ، هناك عدد كبير من المؤلَّفات الحائرة يذكرها بعض الآباء ذكرهم لأسفار قانونيَّة ، في حين أنَّ غيرهم ينظر إليها نظرته إلى مطالعة مفيدة ذلك شأن : الرِّسالة إلى العبرانيِّين ، ورسالة بطرس الثَّانية ، وكُلٌّ من رسالة يعقوب ويهوذا .

وهناك أيضًا مؤلَّفات جرت العادة أن يُستَشهَدَ بها في ذلك الوقت على أنَّها من الكتاب المقدَّس ، ومن ثَمَّ جزء من القانون ، لم تبق زمنًا على تلك الحال ، بل أُخرِجَتْ آخر الأمر من القانون ، ذلك ما جرى لمؤلَّف : هرماس ، وعنوانه الرَّاعي ، وللدِّيداكي ورسالة إكليمنضس الأولى ، ورسالة برنابا ، ورؤيا بطرس وكانت الرِّسالة إلى العبرانيِّين ، والرؤيا ، موضوع أشدِّ المنازعات ، وقد أُنكِرَتْ صحَّةُ نسبتها إلى الرُّسل إنكارًا شديدًا مدَّة طويلة .

ولم تقبل من جهة أخرى إلّا ببطء : رسالتا يوحنا الثّانية والثّالثة ورسالة بطرس الثّانية ، ورسالة يهوذا .

ولا حاجة إلى أن نتتبّع تتبعًا مفصّلًا جميع مراحل هذا التّطور الّذي أدّى خلال القرن الرّابع إلى تأليف قانون هو في مجمله القانون الّذي نعرفه اليوم »[1].

من خلال هذا البيان والنّقل المطوّل عن النّصارى أنفسهم في حديثهم عن كتبهم يتلخّص لنا ما يلي :

١ ـ أنّ اللّه أنزل كتابًا على المسيح سمّاه الإنجيل ، ودعى المسيح عليه السّلام النّاس إلى الإيمان به وذكره الحواريّون كما ذكره بولس في رسائله .

٢ ـ أنّ النّصارى لا يعرفون شيئًا عن مصير هذا الإنجيل ولا أين ذهب .

٣ ـ أنه كانت هناك روايات شفويّة يتناقلها الحواريّون ودُعَاةَ النّصارى الأوائل ويُعتَقَدُ أنّها كانت المصدر الأَساسيّ لأوجه الاتّفاق بين الأَناجيل .

ونحن نرى أنّ تلك الرّوايات الشفويّة لا يبعد أن يكون الإنجيل الأصليّ من ضمنها إلّا أنّ النصارى لم يدوّنوه مجموعة واحدة ، كما أنّهم لم يميّزوه من غيره من الرّوايات ، ممّا جعله لا يُعرَفُ ولا يستطيع أحد الجزم والاعتقاد بشيء من النّصوص أنّها منه .

وهذا تصديق قول اللّه عزّ وجلّ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة : ١٤] .

٤ـ أنّ المتقدّمين من النّصاري لم يشيروا إلى الأناجيل الأربعة ولم يذكروها

---

(١) نقلًا عن كتاب « اختلافات في تراجم الكتاب المقدّس » للواء أحمد عبد الوهاب ص ٧٨ ـ ٨١ .

البتة ، فبولس على كثرة رسائله لم يذكرها في رسائله أبدًا ، وكذلك سِفْر أَعمال الرسل الَّذي ذكر دعاة النَّصاري الأَوائل لم يذكرها ، وهذا يدلُّ على أنَّ هذه الكتب لم تكن موجودة في ذلك الزَّمن وأنَّها أُلِّفَتْ وكُتِبَتْ بعد ذلك .

٥ ـ أنَّ أوَّل ذكر صريح لمجموعة من الكتب المدوَّنة كان من طريق جاستن الَّذي قتل عام ١٦٥ م . وهذا لا يدلُّ صراحة على الأناجيل الأَربعة نفسها ، وأوَّل محاولة للتَّعريف بها ونشرها كانت عن طريق تاتيان الَّذي جمع الأناجيل الأربعة في كتاب واحد سمَّاه (الدياطسرن) في الفترة من (١٦٦ ـ ١٧٠) م وهذا هو التَّاريخ الَّذي يمكن أن يُعزَى إليه وجود هذه الكتب ، وهو تاريخ متأخِّر جدًا عن وفاة من تُعزَى إليهم هذه الكتُب إذ كلهم ماتوا قبل نهاية القرن الأَوَّل ممَّا يدلُّ على أنَّهُم بُرَءَاءُ منها وأنَّها منحولةٌ إليهم .

٦ـ أنَّه حتَّى بعد هذا التَّاريخ وهو ١٧٠ م لم تكن الأناجيل الأربعة وحدها هي الموجودة ، بل كان هناك أناجيل كثيرة موجودة منتشرة ولم يكن لأيٍّ منها صفة الإلزام والقداسة ، ممَّا يجعلها عرضة للتَّحريف والتَّغيير وأنَّ ذلك استمرَّ أَكثر من قرن ونصف أَيضًا .

٧ ـ أنَّ النَّصارى لا يعرفون بالضَّبط تاريخ إعطاء هذه الكتب صفة الإلزام والقداسة ، وإنَّما يرون أنَّها في خلال القرن الرَّابع أخذت هذه الكتب الأربعة والرسائل الملحقة بها صفة القداسة بشكل متدرِّج يعني رويدًا رويدًا .

٨ ـ أنَّ النَّصارى لا يملكون السَّند لكتبهم ولا يعرفون مصدرها الحقيقيَّ ولا تعدو أن تكون كتبًا وجدوها منحولة إلى أولئك النَّاس الَّذين نُسِبَتْ إليهم فنسبوها إليهم ، واعتقدوا ذلك بدون دليل ، وهذا أمر لا يمكن أن يُعطِي

النَّفس البشريَّة القَنَاعة المناسبة لما تُرَادُ له هذه الكتب من تجنُّبِ سخط اللَّه وبلوغ رضوانه .

٩ ـ أنَّنا نعجب غاية العجب من زعم النَّصارى : أنَّ هذه الكتب حقيقيَّة وصادقة وتنقلُ بأمانةٍ وإخلاص كلامَ المسيح وتروي أخباره[1] كيف تجرَّؤا عَلَى مثل هذا الكلام ، وكيف قبله أتباعهم مع أنَّهم لا يملكون الدَّليل على ذلك وكُلُّ دعوى عَرِيت عن الدَّليل فهي باطلةٌ .

قال عزَّ وجَلَّ : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

وكلُّ من تحدث في دين اللَّه بلا علم فهو ضالٌّ مضلٌّ .

قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج : ٣] .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٨ ، ٩] .

فلهذا سمى اللَّه عزَّ وجلَّ ماعندهم من دين أهواءً في قوله عزَّ وجلَّ لنبيه محمّد عليه السَّلام : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ

(١) يقول النَّصارى في المجمع المسكوني الثَّاني للفاتيكان المنعقد في الفترة من ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ م عن العهد الجديد ، (١٩ ـ الطَّابع التاريخي للأناجيل) : « وآمنت أمنًا الكنيسة المقدَّسة وتؤمن بكُلِّ قوَّة وثبات أنَّ الأناجيل الأربعة المذكورة تنقل إلينا بكُلِّ أمانة ما صنعه حقًا يسوع ابن اللَّه من أعمال وما أعلنه من تعاليم أثناء حياته بين البشر إلى يوم صعوده إلى السَّماء » . الطبعة الثَّانية ١٩٧٩ م لوثائق المجمع ص ٤١٣ . وانظر أيضًا القرآن الكريم والتَّوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي ص ٧٨ .

قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

ولكن العجب يذهب والدَّهشة تزول إذا علمنا أنَّ جميع أهل الضَّلال والنَّصارى منهم كان للآباء والكبراء والسَّادة الَّذين يسعون إلى المحافظة على مكاسبهم الدُّنيويَّة الدور الأكبر في إضلال العوام والدهماء الَّذين لا يستخدمون ما وهبهم اللَّه من عقل وسمع وإدراك وإنما يتابعون وينقادون انقياد الأعمى ، وفي هذا يقول اللَّه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٥ - ٦٨] .

★ ★★★

٢ـ تاريخ الأناجيل الأَربعة تفصيلًا

سبق الحديث عن الأَناجيل الأَربعة من ناحية السند إِجمالًا بقي أن نبيِّن هنا ما يتعلَّق بِكُلِّ إنجيل منها :

أولًا : إنجيل متى

هذا الإنجيل يجعله النَّصارى أوَّل كتبهم وهو أطولها إذ يحوي ثمانيةً وعشرين إصحاحًا .

ويزعم النَّصارى أنَّ « متَّى » الَّذي يُنسَبُ الكتاب إليه هو أحد الحواريِّين وكان قبل اتباعه للمسيح عشارًا « جابي ضرائب » .

إلَّا أنَّ النَّصارى لا يستطيعون الإتيان بدليل يدلُّ على نسبة هذا الكتاب إلى متَّى الحواري ، وأقدم من يعتمدون على قوله في نسبة الكتاب إلى متَّى هو أحد كتابهم ، ويُسَمَّى « يوسابيوس » في كتابه تاريخ الكنيسة حيث نسَبَ هذا الكاتب إلى شخص يُدعَى « بابياس » والَّذي كان أسقفًا لـ « هيرا بوليس » سنة (١٣٠ م) أنَّه قال : « **إنَّ متَّى كتب الأقوال باللغة العبرانيَّة** »[1] .

وهذا القول في الواقع ولدى جميع العقلاء لا يمكن أن يُعتَمَدَ عليه في إِثبات صحَّة نسبة الكتاب إلى « متَّى » الحواري ؛ وذلك لأنَّ « بابياس » المذكور هنا لم يكن سَمِعَ تلك التَّعاليم وتِلكَ الكُتُب من أصحابها بل كان يسمعها بواسطة .

حيث يقول عن نفسه فيما ذكرَ عنه « يوسابيوس » : « **وكُلَّما أتى واحدٌ ممَّن كان يتَّبع المشايخ سألته عن أقوالهم لأنَّني لا أعتقد أنَّ ما تحصل**

---

(١) انظر : كتاب تاريخ الكنيسة لجون لوريمر (١ / ١٥٢) ، وكتاب المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٣ .

عليه من الكتب يفيد بقدر ما يَصِلُ من الصَّوتِ الحيِّ »[١] .

فهو هنا لا يتحرَّى في النَّقل ، وممَّا لا شَكَّ فيه أنَّ هؤلاء الوسائط لابُدَّ أن تَثبُتَ عدالتهم وإلَّا فلا يُعتدُّ بما يروونه ويقولونه .

☜ كما أنَّ « بابياس » نفسه طعن فيه يوسابيوس القيصري حيث قال عنه وعن رواياته : « **ويُدَوِّنُ نفسُ الكاتِبِ رواياتٍ أُخرَى يقول إنَّها وصلته من التَّقليدِ غير المكتوب ، وأمثالاً وتعاليم غريبة للمخلِّص وأمورًا خرافيَّةً .. »** .

☜ ثم قال عنه وعن آرائه : « **وأَظُنُّ أنَّه وصل إلى هذه الآراء بسبب إساءة فهمه للكتابات الرَّسُوليَّة ، غير مدرك أنَّ أقوالهم كانت مَجَازِيَّةً ، إذ يبدو أنَّه كان محدود الإدراك جدًّا كما يتبيَّنُ من أبحاثه وإليه يرجع السَّبَبُ في أنَّ كثيرين من آباء الكنيسة من بعده اعتنقوا نفس الآراء مستندين في ذلك على أقدميَّةِ الزَّمَنِ الَّذي عاش فيه »[٢] .**

فهذه طريقة « بابياس » في النَّقل حيث ينقل عن كُلِّ من سمع أنَّه سمع من المشايخ بدون تحرٍّ لمقدرةِ التِّلميذ على الحفظ والضَّبط للرِّوايات والعدالة ومَا إِلَى ذلك من شُروطِ صحَّة الخبر ، كما أنَّ بابياس نفسَه ضعيفُ التَّمييز بين الأقوال محدود الإدراك جدًّا .

فكيف تعتبر أقوال من هذا حاله في أخطر قضيَّة ، وهي الشَّهادةُ لكتاب بأنه كَلَامُ ربِّ العالمين ؟

كما أنَّ في المقابل هناك عدَّةُ أدلَّةٍ تدلُّ عل عدم صحَّةِ نسبته إِلَى « متَّى »

---

(١) تاريخ الكنيسة ـ يوسابيوس القيصري ص ١٧٥ .

(٢) تاريخ الكنيسة ١٧٧ .

الحواري ، وهي :

١- أنَّ النَّصارى لم ينقلوه بالسَّند وقول بابياس السَّابق لم يعيّن فيه من هو متَّى هل هو الحواريُّ أم رجل آخر كما أنَّه لم يعين الكتاب .

☜ بل قال : « **الأقوال** » .

وأيضًا فقد ذكر أَمرًا آخر ، يختلف تمامًا عمَّا عليه إنجيل متَّى الموجود ، وهو أنَّه قال أنه كتبه باللغة العبرانيَّة ، مع أنَّ النَّصارى يُجمِعُونَ على أنَّ الكتاب المعروف هو باللغة اليونانيَّةِ ولا يعرفون للكتاب نُسخَةً عبرانيَّة ، بل الكثير منهم يَرَى أنَّ الكتاب يظهر من لغته أنَّه أوَّلُ ما كتب إنَّما كُتِبَ باللغة اليونانيَّة وليس العبرانية[1] فهذا يدلُّ على أنَّ قول بابياس ، لا ينطبق على إنجيل متَّى الموجود بين يدي النَّصارى . كما أنَّ هناك استفسَارًا آخر في حالة أن يكون الإنجيل مترجمًا من اللغة العبرانيَّة إلى اللغة اليونانيَّة ، وهو من هو مترجمه ؟ وهذا أمرٌ مهمٌّ ، لأنَّه ما لم يعلم دين المترجم ، وصدقه ، وضبطه ، وقوَّة معرفته باللغتين لا يمكن أن يُعتَمَد على ترجمته .

٢- أَنَّ الدَّارسين لهذا الكتاب والباحثين من النَّصارى وغيرهم يَرَون أنَّ كاتب هذا الإنجيل اعتمد كثيرًا على إنجيل مرقص ، ومرقص في كلام النَّصارى تلميذ لبطرس ، فهل من المعقول أن يعتمد أحد كبار الحواريِّين على تلميذ من تلاميذهم في الأمور الَّتي هم شاهدوها وعاينوها وعايشوا أحداثها .

هذا يدلُّ على أنَّ كاتبه غير متَّى الحواريّ وأنَّ دعوى النَّصارى أنَّ كاتب الإنجيل هو متَّى الحواريّ دعوى عارية عن الدَّليل وهي من باب الظَّنّ والتَّخمين

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٣ .

الَّذي لا يغني من الحقِّ شيئًا .

ثانيًا : إنجيل مرقص

هذا الإنجيل الثَّاني في ترتيب الأَنَاجيل لدى النَّصارى وهو أقصرها إذ أنَّه يحوى ستة عشر إصحاحًا فقط .

أمَّا كاتب الإِنجيل فهو في زعم النَّصارى رَجُلٌ من أتباع الحواريِّين والمعلومات عنه قليلة جدًا وغامضة ولا تتَّضح شخصيَّته وضوحًا يُطمئن النَّفس ، إذ أنَّ كُلَّ ما ورد عنه الإشارة إلى أنَّ اسمه يوحنا ويلقَّبُ مرقص ، وأنَّه صاحَبَ بولس وبرنابا في دعوتهما ، ثم افترق عنهما ، ثم ذكر بولس في رسائله اسم مرقص ذكرًا مقتضبًا لا يُعطِي غناءً في التَّعريف به .

☚ وورد ذكر اسمه مع بطرس حيث يقول عنه : « **تسلم عليكم الَّتي في بابل المختارة معكم ومرقص ابني** »[1] .

فهذه المعلومات تجعل الرَّجُلَ في عداد المجهولين إذ أنَّها لم تُعطِ تعريفًا بدينه وعلمه ، وأمانته ، ونحو ذلك ممَّا يجب توافر معرفته فيمن يكون واسطة لكتاب مقدَّسٍ .

☚ أمَّا الكتاب وهو الإنجيل فأقدم المعلومات الَّتي عزته إلى من يُسَمّى مرقص ما نقله « يوساييوس » في تاريخه الكنسي عن « باپياس » أنَّه قال : « **ولقد قال الشيخ أَيضًا إنَّ مرقص الَّذي صار مفسِّرًا لبطرس قد كتب بكُلِّ دقَّة كُلّ ما تذكَّره من أَقوال وأَعمال الرَّبِّ ، ولكن ليس بالتَّرتيب لأنَّه لم يسمع الرَّبَّ ولم يتبعه ولكن كما قلت قبلًا عن بطرس الَّذي ذكر من تعاليم السَّيِّد ما يوافق**

(١) رسالة بطرس الأولى ٥ / ١٢ .

حاجة السَّامعين ، بدون أن يهدف إلى كتابة كُلِّ ما قاله الرَّبُّ وعمله ، وهكذا فَصَّل مرقص أنَّه لم يعملْ خَطًّا واحدًا في كُلِّ ما ذكره وكتَبَهُ ... »[١].

هذه أقدم شهادة لدى النَّصارى عن الكِتَاب والكاتب فهي شهادة مطعون فيه[٢] لمجهول الحال لأَمْرٍ مُجمَلٍ ، حيث ذكر أنَّه كتب ما تَذَكَّرَ ، ولم يفصِّل في المكتوب ما هو فهل تكفي هذه الشَّهادَةُ في إثبات كتابٍ يزعم أنَّه الوسيلة إلى رضوان اللَّه ؟!

ثالثًا : إنجيل لوقا

هذا الإنجيل الثَّالث في ترتيب النَّصارى لكتابهم ، ويحوي أربعة وعشرين إصحاحًا . وكاتب الإنجيل في زعم النَّصارى هو أحد الوثنيِّين الَّذين آمنوا بالمسيح بعد رفعه وكان رفيقًا لبولس (شاؤول اليهودى) حيث ذكره بولس في ثلاث مواضع من رسائله واصفًا له بأنَّه رفيقه[٣] .

ولا يُوجَدُ لدى النَّصارى معلومات عنه سوى أنَّه أممي رافق بولس في بعض تنقُّلاته حيث ورد اسمه في تلك الرِّحلات .

فهو بهذا يُعتَبَرُ شخصيَّة مجهولة وغير معروفة ولا متميِّزة بعدالة وديانة ، ومع هذا أيضًا لا يوجد لدى النَّصارى دليل يُعتَمَدُ عليه في صحَّة نسبة الكتاب إليه ولندرة المعلومات الَّتي تُوَثِّق نسبة الكتاب إلى لوقا المذكور نجد النَّصارى يستشهدون بكلام مجهول حيث يقول القس د . فهيم عزيز في كتابه المدخل

(١) انظر : كتاب المدخل إلى العهد الجديد ص ٢١٨ .

(٢) انظر ما سبق من كلام يوسابيوس عن باپياس ص ١٥٢ .

(٣) انظر : رسالة بولس إلى كولوسي (٤ / ١٤) ، ورسالته الثَّانية إلى تيموثاوس (٤ / ١١) ، ورسالته إلى فليمون (٢٤) .

إلى العهد الجديد في استدلاله على صحة نسبه الكتاب إلى لوقا ما يلي :

« هناك مقدمةٌ كُتِبَتْ لإنجيل لوقا فيما « بين » (١٦٠ - ١٨٠ م) ، اسمها « ضد مارسيون » فيها :

☚ يقول الكاتب عن لوقا : « **إنَّه من أنطاكية في سوريا مهنته طبيب وكان أَعزبًا بدون زوجةٍ مات وهو في سن ٨٤ في بوتييه ممتلئًا بروح القُدسِ وقد كتب إنجيله كُلَّه في المناطق الَّتي تحيط بأخائيه لكي يفسِّر للأمم القصَّة الصَّحيحة للعهد الجديد الإلهيِّ ...** » .

☚ ثم يقول صاحب الكتاب : « **هذه مقتطيفات عن هذه الشَّهادة ، الَّتي لا يُعرَفُ كاتِبُهَا وقد قبلها كثير من العلماء لأنَّهم لم يجدوا من أتباع مارسيون[١] من يُكَذِّبُهَا ممَّا يَدُلُّ على أنَّها تقليد كنسيٌّ قويٌّ** »[٢] .

بمثل هذه الشَّهادة المجهولة يثبت النَّصارى صِحَّة كتابهم إلى هذا الرَّجُلِ المجهول لوقا ، وهي لا شكَّ شهادة لا تغني ولا تُسمِنُ من جوع ، ويَدُلُّ استدلالهم بها على أنَّهم لا يملكون أدِلَّةً على صحَّة نسبة الكتاب فيتبيَّن لنا من هذا أنَّ النَّصارى حين يزعمون أنَّ إنجيل لوقا كِتَابٌ صَحِيحٌ وصادِقٌ فإنَّ ذلك مجرَّد دعوى عارية عن الدَّليل .

رابعًا : إنجيل يوحنا

هذا الإنجيل الرَّابع في العهد الجديد وهو إنجيل متميِّزٌ عن الأَناجيل الثَّلاثة قبله إذ تلك متشابهة إلى حدٍّ كبير ، أمَّا هذا فيختلف عنها بأنَّه ركز على قَضِيَّةٍ

(١) مارسيون هو أحد الخارجين على الكنيسة .

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٧٢ .

واحدةٍ وهي : إبراز دَعوى أُلُوهيَّةِ المسيح وبنوَّته للَّه (تعالى اللَّه عن قولهم) بنظرة فلسفيَّة لا تخفى على النَّاظر في الكتاب لهذا يعتبر الكتاب الوحيد من بين الأناجيل الَّذي صرَّح بهذا الأَمر تصريحًا واضحًا .

وإذا بحثنا في صحة نسبة الكتاب إلى يوحنا الحَوَارِيّ الَّذي يزعم النَّصارى أَنَّ الكِتَابَ من تصنيفه فنَجِدُ الكتاب أقلَّ الكتب نصيبًا من الصِّحَّة ، لعدَّة أدلَّةٍ أَبرَزَهَا مُنكِرُو نسبة الكتاب إلى يوحنا الحواري وهي :

١ ـ أَنَّ بوليكاربوس الَّذي يُقَالُ إِنَّه تلميذ ليوحنا لم يشر إِلَى هذا الإِنجيل عن شيخه يوحنا ، ممَّا يدلُّ على أَنَّه لا يعرفه وأَنَّ نسبته إلى شيخه غير صحيحة .

٢ ـ أَنَّ الكتاب مملوء بالمصطلحات الفلسفيَّة اليونانيَّة الَّتي تدلُّ على أنَّ لكاتبه إلمامًا بالفلسفة اليونانيَّة ، أمَّا يوحنا الحواري كما يذكر النَّصارى فقد كان يمتهن الصَّيد ممَّا يَدُلُّ على أَنَّه بعيد عن الفلسفة ومصطلحاتها .

٣ ـ أَنَّ كُتَّابَ النَّصارى الأَوائلِ لم ينسبوا هذا الإِنجيل إلى يوحنا الحواري وأن يوسابيوس الَّذي كان يسأل باپياس عن هذه الأُمورِ يقول : « الواضح أَنَّ باپياس يذكر اثنين اسمهما يوحنا : الأَوَّل الرَّسُول وقد مات والثَّاني الشَّيخُ وهو حيٌّ . ويلوح أَنَّه هو الَّذي كتب الإِنجيل » .

فلهذا يقول صاحب كتاب « المدخل إلى العهد الجديد » بناءً على ذلك إِنَّ الكنيسةَ كانت بطيئةً في قبولها لهذا الإِنجيل[1] .

ولهذا منذ نهاية القرن التَّاسع عشر ظهر الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنَّا الحواري بشكلٍ واسعٍ ووصفته دائرةُ المعارف الفرنسيَّةُ بأَنَّه إنجيل مزوَّرٌ

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٥١ .

وهذه الدَّائرةُ اشترك في تأليفها خمسمائةٍ من علماء النَّصارى ونصّ كلامهم : أمَّا إنجيل يوحنَّا فإنَّه لا مرية ولا شكَّ كِتَابٌ مزوَّر أراد صاحبه مضادَّة اثنين من الحواريِّين بعضهما لبعض وهما القِدِّيسان يوحنا ومتَّى ، وقد ادَّعى هذا الكاتب المزوِّر في متن الكتاب أَنَّه الحواري الَّذي يحبُّه المسيح ، فأخذت الكنيسةُ هذه الجملةَ على علاتها ، وجزمت بأنَّ الكاتب هو يوحنا الحواريّ ، ووضعت اسمه على الكتاب نصًّا مع أنَّ صاحبه غير يوحنا يقينًا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التَّوراة الَّتي لا رابطة بينها وبين من نُسِبَتْ إليه وإنَّا لنرأفُ ونُشفِقُ على الَّذين يبذِلُونَ منتهى جهودهم ليربطوا ولو بأوهى رابطةٍ ذلك الرَّجلُ الفلسفي الَّذي ألَّف هذا الكتاب في الجيل الثَّاني بالحواريّ يوحنا الصَّيَّاد الجليلي ، فإنَّ أَعمالهم تضيع عليهم سُدىً لخبطهم على غير هدىً »[1].

○○○○

(١) نقلًا عن كتاب دراسات في الكتاب المقدَّس . د . محمود علي حمايه ص ٦٤ .

٣ـ الأناجيل الأربعة متنًا

إنَّ الكتب المقدَّسة كتب معصومة عن الخطأ محفوظة من الخلل والزَّلل لأنَّ المفروض فيها أن تكون من قبل ربِّ العالمين الذي يعلم السِّرَّ وأخفى وهو الحقّ لا يصدر منه إلَّا الحقّ جَلَّ وعلا .

والنَّصارى يسندون كتبهم إلى اللَّه عزَّ وجلَّ عن طريق الإلهام إلى كُتَّابها[١]. والدَّارس لهذه الكتب يستطيع أن يتبيَّن صدق هذه الدَّعوى من كذبها ، إذ أنَّ الحقَّ لا خفاء فيه .

وقد سبق أن ذكرنا نبذة عن هذه الكتب من ناحية السَّند ، فتبيَّن أنَّ النَّصارى ليس عندهم دليل يُثبِتُ صحَّة نسبة كتبهم إلى أولئك النَّاس الَّذين نُسِبَتْ إليهم ، ممَّا يدلُّ على أنَّها كتب مزوَّرة وغير صحيحة ، وممَّا يؤكِّد تزويرها وعدم صِحَّتِها الاختلافات بينها ، وكذلك الأغلاط العديدة فيها وسنضرب لذلك أمثلة :

---

(١) انظر :ـ الكتاب المقدَّس هل هو كلمة اللَّه . للقس عبد المسيح ص ٢٢ .

أولًا : الاختلافات

إذا قارنا بين الأناجيل الأربعة نجد بينها اختلافات جوهريَّة تدلُّ على خطأ كُتَّابها وأنَّهم غير معصومين ولا ملهمين فمن ذلك :

١ ـ شجرة نسب المسيح عليه السَّلام .

إنَّ ممَّا يدهش له الإِنسان أَشدّ الدّهش أنَّ النَّصارى لم يضبطوا نسب المسيح عليه السَّلام ولم يتَّفقوا عليه فأعطاه كلًّا من صاحب إنجيل متَّى وصاحب إنجيل لوقا نسبًا مختلفًا وإليك جدولًا بذلك يوضِّح الفرق بينهما :

إنجيل متى	إنجيل متى	إنجيل لوقا	إنجيل لوقا	إنجيل لوقا	إنجيل لوقا
المسيح ابن	١٤ـ يوشيا	المسيح ابن	١٤ـ متاثيا	٢٨ـ يوسى	٤٢ـ داود
١ـ يوسف	١٥ـ آمون	١ـ يوسف	١٥ـ شمعي	٣٩ـ اليعازر	
٢ـ يعقوب	١٦ـ منسى	٢ـ هالي	١٦ـ يوسف	٣٠ـ يوريم	
٣ـ متان	١٧ـ حزقيا	٣ـ متثاب	١٧ـ يهوذا	٣١ـ متثات	
٤ـ اليعازر	١٨ـ أحاز	٤ـ لاوي	١٨ـ يوحنا	٣٢ـ لاوي	
٥ـ أليود	١٩ـ يوثام	٥ـ ملكي	١٩ـ ريسا	٣٣ـ شمعون	
٦ـ أخيم	٢٠ـ عزيا	٦ـ ينا	٢٠ـ زربايل	٣٤ـ يهوذا	
٧ـ صادوق	٢١ـ يورام	٧ـ يوسف	٢١ـ شألتئيل	٣٥ـ يوسف	
٨ـ عازور	٢٢ـ يهوشافاط	٨ـ متاثيا	٢٢ـ نيري	٣٦ـ يونان	
٩ـ الياقيم	٢٣ـ أسا	٩ـ عاموص	٢٣ـ ملكي	٣٧ـ الياقيم	
١٠ـ ابيهود	٢٤ـ أبيا	١٠ـ ناحوم	٢٤ـ أدى	٣٨ـ مليا	
١١ـ زربابل	٢٥ـ رحبعام	١١ـ حسلي	٢٥ـ قصم	٣٩ـ مينان	
١٢ـ شألتئيل	٢٦ـ سليمان	١٢ـ نجاي	٢٦ـ المودام	٤٠ـ متاثا	
١٣ـ يكنيا	٢٧ـ داود	١٣ـ مآث	٢٧ـ عير	٤١ـ ناثان	

ففي هذا النَّسب فوارق وأَغلاط عديدة وهي :

١ ـ أَنَّ متَّى نسب المسيح إلى يوسف بن يعقوب ، وجعله في النِّهاية من نسل سليمان بن داود عليهما السَّلام .

أَمَّا لوقا فنسبه إلى يوسف بن هالي ، وجعله في النِّهاية من نسل ناثان بن داود عليه السَّلام .

٢ ـ أَنَّ متَّى جعل آباء المسيح إلى داود عليه السَّلام سبعة وعشرين أَبًا أَمَّا لوقا فجعلهم اثنين وأربعين أَبًا ، وهذا فارق شديد بينهما يدلُّ على خطأهما أو خطأ أحدهما قطعًا .

والنَّصارى يدَّعون أَنَّ أحد الإِنجيلين كتب نسب مريم ، والآخر كتب نسب يوسف . وهذا كلام باطل .

☜ إِذ أَنَّ صاحب « إنجيل متَّى » (١ / ١٦) يقول : « **ويعقوب ولد يوسف رجل مريم الَّتي ولد منها يسوع الَّذي يُدعَى المسيح** » .

☜ أَمَّا « إِنجيل لوقا » (٣ / ٢٣) فيقول : « **ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي** » .

فكلاهما صرَّح بنسب يوسف .

أَمَّا الأَغلاط في هذا النَّسب فعديدة منها :

١ ـ أَنَّ نسبة المسيح عيسى عليه السَّلام إلى يوسف خطيب مريم في كلامهم خطأ فاحش ، وفيه تصديق لطعن اليهود في نسب المسيح عليه السَّلام ، وكان الواجب على النَّصارى أن ينسبوه إلى أُمِّه مريم لا إلى رجل أجنبي عنه .

٢ ـ أَنَّ صاحب إنجيل متَّى أسقط أربعة آباء من سلسلة النَّسب ثلاثة منهم على التَّوالى بين « عزيا ويورام » ، حيث النَّسب كما هو في أَخبار الأَيَّام الأول (٣ / ١١ ـ ١٣) « **عزريا بن أمصيا بن يواش بن أخزيا بن يورام** » كما أَسقط واحدًا بين « يكنيا ويوشيا » وهو « يهوياقيم » وسبب إسقاط اسم يهوياقيم بين يوشيا ويكنيا هو أن « يهوياقيم » هذا ملك على يهوذا بعد أبيه ، ولكنَّه كان وثنيًّا عابدًا للأوثان فكتب له إرميا يحذره من صُنعِه ، ويبيِّن له مغبَّة أفعاله ، فأحرق « يهوياقيم » الكتاب ولم يرجع عن غَيِّه .

☜ لهذا قال له إرميا حسب كلامهم : « **لذلك هكذا قال الرَّبُّ عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسي داود وتكون جثَّته مطروحةً للحرِّ نهارًا وللبرد ليلًا** » « سِفْر إرميا » (٣٦ / ٣٠) .

ومعنى هذا الكلام أنَّه لا يكون من نسله ملك ، فأَسقطه « متَّى » لسبب في نفسه . وعلل صاحب تفسير العهد الجديد ذلك التَّصرُّف بأنَّ « متَّى » أراد أن يجعل كُلَّ مجموعةٍ من النَّسب تحوي أربعة عشر اسمًا[١] .

ونحن نقول إذا كانت هذه العلَّة الَّتي لا معنى لها من أجلها حذف أربعة آباء من نسب المسيح ، فذلك يعني أنَّ كاتب الكتاب يكتب لخدمة أهداف في نفسه وأنَّه لا يكتب ما علم وسمع مجرّدًا من الهوى والآراء الخاصَّة ، ومن هنا يمكن أن ندرك كيفيَّة تعامل النَّصارى الأوائل مع المعلومات الواردة إليهم وأنَّهم يصوغونها وفق ما يرون ويعتقدون .

ولنا أن نبحث هنا عن السَّبب ، في هذا الخطأ الفاحش والاختلاف في

---

(١) تفسير العهد الجديد ص ٣ .

النَّسب فنقول :

إنَّ سبب خطأ النَّصارى في نسب المسيح أنَّهم نسبوه إلى رجل مغمور غير مشهور وهو « يوسف النَّجَّار » خطيب مريم في زعمهم لهذا أخطأوا في نسبه فأعطاه « متَّى » نسبًا مُلُوكيًّا ، وأعطاه « لوقا » نسبًا آخر غير معروفٍ ولا معلوم[١] . ولكن لماذا أعرض كتاب النَّصارى عن مريم ولم يعطوه نسبها فيجعلوه كما هو الحقُّ عيسى بن مريم بنت عمران ... ؟

السَّبب في هذا ظاهر وهو : أنَّ مريم بنت عمران امرأة عابدة مشهورة تربَّت في بيت النَّبِيِّ زكريا عليه السَّلام الَّذِي هو زوج اليصابات خالة مريم ، وهي من نسل هارون عليه السَّلام فتكون مريم من نفس السِّبط وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السَّلام .

وذلك أنَّ تشريع اليهود ، كما ورد في « سِفْر العدد » (٣٦ / ٦ - ٩) **يأمرهم أَن تتزوَّج المرأة من سبطها ، ولا تتزَّوج من سبط آخر حتَّى تستمر الأَموال في نفس السِّبط ، ولا تنتقل إلى أسباط أخرى بواسطة الميراث .**

فلهذا تكون مريم من سبط زكريا عليه السَّلام ومن سبط زوجته ، وكذلك خطيبها المزعوم يكون من نفس السِّبط ، وهو سبط لاوي الَّذي منه هارون عليه السَّلام ، وهذا هو الحقُّ الَّذِي لا يُشَكُّ فيه لقول اللَّه عزَّ وجَلَّ عن مريم : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ [مريم : ٢٨] .

قال السدي : قيل لها (يا أخت هارون) أي أخي موسى لأنَّها من نسله

---

(١) يذكر الشيخ رحمة اللَّه الهندي إنَّ اختلاف النَّسب بين لوقا ومتَّى دليل على أنَّ إنجيل متى لم يكن معروفًا لدى لوقا وما اطَّلع عليه وإلَّا لما خالفه هذه المخالفة الشَّديدة . إظهار الحقِّ (١ / ١٩٧) .

كما يُقَالُ للتَّميمي : يا أخا تميم وللمضَرِيّ : يا أخا مضر[١] .

وهذا ما أزعج النَّصارى وكتاب الأناجيل الأوائل فأعطوه ذلك النَّسب المخترع إلى داود عليه السَّلام ، لأن المسيح كما يزعم اليهود لا بد أن يكون من نسل داود عليه السلام . وصدقهم النَّصارى في هذا الافتراء ، فاخترعوا له هذا النَّسب إلى داود عليه السَّلام حتَّى يكون مسيحًا . واللَّه أعلم .

□ **من الاختلافات بين الأناجيل أيضًا :**

٢- ذكر « إنجيل متَّى » (١١ / ١٣) من كلام المسيح عن يوحنا المعمدان (يحيى عليه السَّلام) قوله : « **لأنَّ جميع الأنبياء والنَّاموس إلى يوحنا تنبؤا وإن أردتم أن تقبلوا فهذا إيليا المزمع أن يأتي من له أذنان للسمع فليسمع** » .

☜ كما ورد في « إنجيل متَّى » أيضًا (١٧ / ١) ، أنَّهم سألوا المسيح : « **وسأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة إنَّ إيليا ينبغي أن يأتي أولًا فأجاب يسوع وقال لهم : إنَّ إيليا يأتي أوّلًا ويرد كُلَّ شيءٍ ، ولكنِّي أقول لكم إنَّ إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كُلَّ ما أرادوا ، كذلك ابن الانسان أيضًا سوف يتألَّم منهم ، حينئذ فَهِمَ التَّلاميذُ أنَّه قال لهم عن يوحنا المعمدان** » .

فالمسيح هنا يبيِّن أنَّ يحيى عليه السَّلام هو إيليا .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٢) ولا يعكِّر على هذا التَّفسير ما روى المغيرة بن شعبة أنَّه قال : بعثني رسول اللَّه ﷺ إلى نجران فقالوا : « أرأيت ما تقرءون ﴿ يا أخت هارون ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال : فرجعت فذكرت ذلك لرسول اللَّه ﷺ فقال : « ألا أخبرتهم أنَّهم كانوا يُسَمُّون بالأنبياء والصَّالحين قبلهم » . أخرجه مسلم (٣ / ٦٨٥) فهذا لا ينفي ما ذكر من المعنى السَّابق لأنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّما بيَّن أنَّ لفظ الأخوَّة في الآية ليست أخوَّةَ النَّسب بمعنى أن تكون هي وإيَّاه خرجا من بطن واحد ، وإنَّما المراد التَّشبيه به ، أو بغيره في الصَّلاح .

ويخالف هذا قول « يوحنا » في إنجيله (١ / ١٩) حين جاء اليهود يسألون يحيي عن نفسه حيث قال : « **أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ، فاعترف ولم ينكر وأقر أَنّى لست أنا المسيح فسألوه من أنت ، إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . النَّبِيّ أنت ؟ فأجاب : لا . فَقَالُوا له من أنت لنعطي جوابًا للذين أرسلونا ، ماذا تقول عن نفسك . قال : أنا صوتٌ صارخ في البريَّة قوموا طريق الرَّبّ كما قال أشعيا النَّبِيُّ** » .

فهنا أنكر يحيى عليه السَّلام أن يكون هو إيليا وهذا تناقض واضح .

٣ ـ أنَّ « متَّى » ذكر في إنجيله (٢٠ / ٢٩ ـ ٣٤) أنَّ عيسى عليه السَّلام لما خرج من « أريحا » قابله أعميان فطلبا منه أن يشفيهما من العمى فلمس عيونهما فشُفِيَا .

وقد ذكر هذه القصَّة « مرقص » في (١٠ / ٤٦ ـ ٥٢) وبين أنَّ بارينماوس الأعمى بن نيماوس هو الَّذي طلب ذلك فقط .

٤ ـ أنَّ « مرقص » ذكر في (٦ / ٨) أنَّ عيسى عليه السَّلام أوصى حواريه حين أرسلهم للدَّعوة في القرى بأن لا يحملوا شيئًا للطَّريق غير عصا فقط لا مزودًا ، ولا خبزًا ، ولا نحاسا .

وذكر ذلك « لوقا » في (٩ / ٣) إلَّا أنَّه قال : « **إنَّ عيسى أوصَاهُم وقال لهم (لا تحملوا شيئًا للطَّريق لا عصا ولا مزودًا ولا خبزًا ولا فضَّة)** .

ففي الأَول : أجاز لهم حمل العصا ، والثَّاني : ذكر أنَّه نهاهم عن حمل العصا أيضًا .

٥ ـ أنَّ « إنجيل متَّى » ذكر فيه في (١٥ / ٢١) أنَّ المرأة الَّتي طلبت من

المسيح شفاء ابنَتِهَا كانت كنعانيّة .

☚ وذكر القِصَّة « مرقص » في إنجيله (٧ / ٢٤) ، ونصّ عبارته عن جنس المرأة : « **وكانت المرأة أممية وفي جنسها فينيقية سورية** »[1] .

٦ ـ أنَّ « إنجيل متّى » ذكر أَسماء تلاميذ عيسى الاثنى عشر .

☚ فقَالَ (١٠ / ٢) : « **وأَمَّا أسماء الاثنى عشر رسولاً فهي هذه : الأوَّل سمعان الَّذي يُقَالُ له بطرس ، واندراوس أخوه ، يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه ، فيلبس ، وبرتولماوس ، توما ، ومتّى العشار ، يعقوب بن حلفى ، ولباوس الملقب تداوس ، سمعان القانوني ، ويهوذا الاسخريوطي الَّذي أسلمه** » .

ويذكر « مرقص » في (٣ / ١٦) الأَسماء ويتَّفق فيها مع متّى ويختلف ذلك عمَّا ذكره لوقا حيث يحذف من قائمة متّى (لباوس الملقب تداوس) ويضع بدلاً عنه يهوذا أخا يعقوب .

٧ ـ اختلافهم في الَّذين حضروا لمشاهدة قبر المسيح بعد دفنه المزعوم .

☚ حيث يقول « متّى » (٢٨ / ١) : « **وبعد السبت عند فجر أوَّل الأسبوع جاءت مريم المجدليّة ومريم أخرى لتنظرا القبر** » .

☚ وفي « إنجيل مرقس » (١٦ / ١) يقول : « **وبعدما مضى السَّبت اشترت مريم المجدليّة ومريم أُم يعقوب وسالومه حنوطًا ليأتين ويدهنه ، وباكرًا جدًّا في أَوَّل الأُسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشَّمس** » .

☚ وفي « إنجيل لوقا » (٢٤ / ١) يقول : « **ثم في أوَّل الأُسبوع أوَّل**

---

(١) هكذا في طبعة ١٩٨٢ دار الكتاب المقدَّس في القاهرة ، أمَّا طبعة دار الكتاب المقدَّس في الشَّرق الأوسط ١٩٩٢ م فنصّ العبارة فيها هكذا : « وكانت المرأة يونانيّة جنسُها من فينيقية سورية » .

الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أَعددنه ومعهن أناس » .

☜ في « إنجيل يوحنا » (٢٠ / ١) يقول : « **وفي أوَّل الأُسبوع جاءت مريم المجدليّة إلَى القبر باكرًا والظَّلام باقٍ فنَظرتِ الحجَر مرفوعًا عن القَبرِ** » .

فهذه الاختلافات وغيرها كثير[1] ذكره علماء الإِسلام وغيرهم تدلُّ دلالة واضحة على أنَّ الكتاب صنعةٌ بشريَّةٌ .

O O O O

(١) ذكر الشيخ رحمة اللَّه الهندي : تسعة وسبعين اختلافًا بين الأناجيل فمن أراد الاستزاده فليراجعها في : إِظهار الحق (١ / ١٨٧ - ١٤٦) ، وانظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمنهدس / أحمد عبد الوهاب ص ٧٨ وما بعدها .

ثانيًا : الأغلاط في الأناجيل

كما بين الأناجيل اختلافات يُوجَدُ بها أغلاطٌ وأخطاء كثيرةٌ أيضًا نذكر منها :

١ ـ قال « متّى » في إنجيله (١ / ٣) مستدلًّا للمسيح وولادته من مريم بنبوءة سابقة جاءت على لسان أشعيا (وهذا كلُّه كان لكي يتمّ ما قيل من الرَّبِّ بالنَّبِيِّ القائل : **« هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه « عما نوئيل » الَّذي تفسيره اللَّه معنا »**) .

وهذا غلط لأنَّ هذا اللفظ الَّذي ورد على لسان أشعياء لا ينطبق على المسيح فإنَّ له قِصَّةً تَدُلُّ على المراد به وهي :

أنَّ « رصين » ملك أرام ، « وفقح بن رمليا » ملك إسرائيل ، اتَّفقا على محاربة آحاز بن يوثان ملك يهوذا ، فخاف منهما خوفًا شديدًا فأوحى اللَّه إلى النَّبِيِّ أشعياء أنْ يقول لآحاز : بأن لا يخاف ، لأنَّهُما لا يستطيعان أن يَفعَلا بِه ما أرادا وأنَّ ملكَهُمَا سيزول أَيضًا ، وبيَّن له أشعياء آيةً لخراب ملكهما وزواله ، أنَّ امرأةً شابَّةً تَحبَلُ وتلد ابنًا يُسمَّى « عما نوئيل » فتصبحُ أرضُ هذين الملكين خرابًا قبل أن يميِّز هذا الابن بين الخير والشَّرِّ .

ونصّ كلامه : **« ها العذراء تحبَلُ وتلد ابنًا وتدعو اسمه « عما نوئيل » زبدًا وعسلًا يأكل متى عرف أَن يرفُضَ الشَّرَّ ويختار الخير . لأنَّه قبل أن يعرف الصَّبِيُّ أن يرفض الشَّرَّ ويختار الخير تخلى الأَرض الَّتي أنت خاش من ملكيها »** « سِفْر اشعياء » (٧ / ١٤) .

وقد وقع ذلك فقد استولى « تغلث فلاسر » الثَّاني ملك آشور على بلاد سوريا وقتل « رصين » ملكها ، أمَّا « فقح » فَقُتِلَ في نفس السَّنة عن طريق

أَحَدِ أقربائه وحكم مكانه ، كُلُّ ذلك حدث بعد هذه المقولة بما يقارب إحدى وعشرين سنة أي قبل ميلاد المسيح بما يُقَارِبُ سبعة قرون[١] .

٢- قال « متَّى » في إنجيله (٢٧ / ٥١) بعد الصَّلب المزعوم للمسيح وإسلامه الرُّوح : « **وإذا حجاب الهيكل قد انشقَّ إلى اثنين من فوقٍ إلى أَسفل . والأَرض تزلزلت والصُّخور تفتَّقَتْ والقبور تفتَّحت ، وقام كثير من أجساد القدِّيسين الرَّاقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدَّسة وظهروا لكثيرين** » .

فهذه الحكاية الَّتي ذكرها متَّى لم يذكرها غيره من كتاب الأَناجيل ممَّا يَدُلُّ على أنَّ كلامه لا حقيقة له ، لأنَّها آية عظيمةٌ تتوافر الهمم على نقلها .

٣ ـ أنَّه ورد في « إنجيل متَّى » (١٢ / ٤٠) وكذلك في (١٦ / ٤) أنَّ المسيح قال إنَّه لن يُعطِيَ لليهود آية إلَّا آية يونان (يونس عليه السَّلام) .

ونَصُّه : « **لأنَّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيَّام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأَرض ثلاثة أيَّام وثلاث ليال** » .

وهذا غلط لأنَّ المسيح عليه السَّلام في زعمهم صُلِبَ ضُحَى يوم الجمعة ومات بعد ثلاث ساعات ، أي في العصر ، ودُفِنَ قُبَيلَ غروب الشَّمسِ ، وبَقِي في قبره تلك الليلة ، ويوم السَّبت من الغد ، وليلة الأَحد ، وفي الصَّباح جاؤا ولم يجدوه في قبره ، ممَّا يدلُّ على أنَّه مكث في زعمهم ليلتين ويومًا واحدًا فقط . فيكون كلام متَّى السَّابق غلط واضحٌ .

٤ ـ أَنَّ « متَّى » ذكر في مواضع من كتابه أنَّ القيامة ستَقُومُ على ذلك الجيل

---

(١) انظر : إظهار الحقِّ لرحمة الله الهندي (٢ / ٣٠٥) .

☜ ومن ذلك قوله في (١٦ / ٢٧) على لسان المسيح : « **فإنَّ ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذٍ يُجَازي كُلَّ واحدٍ حسب عمله ، الحقَّ أَقُولُ لَكُم إنَّ من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتَّى يروا ابن الإنسان أتيًا في ملكوته** » .

☜ كما ورد في الإنجيل نفسه (٣ / ٢٣) قولهم على لسان المسيح : « **فإنَّ الحقَّ أَقولُ لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتَّى يأتي ابن الإنسان** » .

فهذه النُّصوصُ تؤكِّد القيامة قبل موت الكثيرين من ذلك الجيل ، وقبل أن يكمِّلَ الحواريُّون الدَّعوة في جميع مدن بني إسرائيل ، وهذا أمر لم يتحقَّق ، وله الآن أكثر من ألف وتسعمائه وثلاث وتسعين سنة مما يدلُّ على أنَّه غلط فاحش .

☜ ٥ ـ جاء في « إنجيل لوقا » (١ / ٣٠) في البشارة بالمسيح قوله : « **ويعطيه الرَّبُّ الإله كرسِ داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلَى الأبد ولا يكون لملكه نهاية** » .

وهذا خطأ بيِّنٌ لأنَّ المسيح عليه السَّلام لم يكن ملكًا لليهود ، ولا ملكًا على آل يعقوب ، بل كان أكثرهم معادين له إلى أنْ رُفِعَ إلى السَّماء بسبب محاولتهم قتله .

☜ ٦ ـ ورد في « إنجيل مرقس » (١١ / ٢٣) : « **فأجاب يسوع وقال لهم : ليكن لكم إيمان باللَّه ، لأنَّ الحقَّ أقولُ لكُم : إنَّ من قال لهذا الجبل انتَقِلْ وانطَرِحْ في البحر ولا يَشُكُّ في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له ، لذلك أقول لكم : كُلّ ما تطلبونه حينما تُصَلُّون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم** » .

☜ وورد أَيضًا في « إنجيل مرقس » (١٦ / ١٧) : « **وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشَّياطين باسمي ، ويتكلَّمون بألسنةٍ جديدةٍ ، يحملون حيات ، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرُّهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون** » .

☜ وفي « إنجيل يوحنا » (١٤ / ١٢) : « **الحقّ الحقّ أقول لكم : من يؤمن بي فالأَعمال الَّتي أنا أَعملها يعمَلُها هو أيضًا ، ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله** » .

فهذه النُّصوص الثَّلاثة لا شَكَّ في أَنَّها خطأ فلا يستطيع النَّصارى أن يدعو ذلك لأنفسهم .

كما أنَّ عبارة « إنجيل يوحنا » فيها مغالاة شديدة ، حيث زعم أنَّ مَنْ آمن بالمسيح يعمل أعظم من أَعمال المسيح نفسه ، وهذا من التّرهات الفارغة[1].

وبمجموع ما ذُكِرَ عن الأناجيل من ناحية تاريخها ، ومتنها يتبيَّن لنا أنَّ هذه الكتب لا يمكن أَن تكون هي الكتاب الَّذي أنزله اللَّه عزَّ وجَلَّ على عبده ورسوله ، وأحسن أحوالها أَن تكون متضمِّنة لبعض ما أنزل اللَّه على عيسى عليه السَّلام . واللَّه أعلم .

○○○○

(١) انظر هذه الأغلاط وغيرها كثير في إظهار الحقِّ لرحمة اللَّه الهندي (٢ / ٢٩٤ - ٣٥٢) فقد ذكر اثنين وسبعين غلطًا في العهد الجديد وحده ، فمن أَراد الاستزادة فليراجعه .

المطلب الثالث

إنجيل برنابا[١]

١- التَّعريف بـ « برنابا » :

برنابا : اسمه « يوسف » ويُلَقَّب ابن الوعظ وهو لاوي قبرصي الجنسيَّة ، وهو خال « مرقس » صاحب الإنجيل فيما يُقَالُ ، وكان من دعاة النَّصرانيَّة الأوائل ويظهر من إنجيله أنَّه من الحواريِّين الَّذين لهم مكانَةٌ لدى المسيح عليه السَّلام والنَّصارى يرون أنَّه من الدُّعاة الَّذين لهم أثر ونشاط ظاهر . وكان من أعماله أنَّه باع حقله وأتى بقيمته من النقود ووضعها تحت تصرُّف الدعاة[٢]وهو الَّذي قدم بولس « شاؤول اليهودى » للحواريِّين حين كانوا متخوِّفين منه[٣]ثم اختلف معه بعد فترة من العمل في الدَّعوة سويًّا وانفصلا[٤] .

٢- التَّعريف بإنجيله :

أقدم خبر عن إنجيل برنابا كان قريبا من عام ٤٩٢ م وذلك حين أصدر البابا « جلاسيوس » الأوَّل أمرًا يحرم فيه مطالعة عدد من الكتب ، كان منها كتاب يُسَمَّى « إنجيل برنابا » وهذا كان قبل مبعث النَّبيِّ ﷺ . ثم لم يظهر له خبر إلَّا في أواخر القرن السَّادس عشر الميلاديّ حيث عَثَر أحد الرُّهبان اللاتينيين

---

(١) لا يعتبر هذا الإنجيل من مصادر النَّصارى لأنَّهم لا يعترفون به وإنما ذكر هنا تبعًا للحديث عن الأناجيل ولأهميَّة ما يتضمَّن من معلومات ومبادئ .

(٢) أَعمال الرسل (٤ / ٣٧) .

(٣) أَعمال الرسل (٩ / ٢٧) .

(٤) انظر : أَعمال الرسل (١٥ / ٣٦) .

وهو (فرامرينو) على رسائل (لإريانوس) ينددُ فيها ببولس وأسند (إريانوس) تنديده هذا إلى إنجيل برنابا . فحرص هذا الرَّاهب على الاطِّلاع على هذا الإنجيل . واتَّفق أنَّه أصبح مقربًا للبابا « سكتس » الخامس ، ودخل معه يومًا إلى مكتبته فأخذت البابا غفوةٌ نام فيها فأخذ فرامرينو يطالع في مكتبته رغبة في قطع الوقت ، فوقعت يده على هذا الكتاب فوضعه في ثوبه وأخفاه ، ثم استأذن بعد أن أفاق البابا ، وخرج فطالع الكتاب بشغف شديد ثم أسلم على أثر ذلك ـ وقد بين هذه المعلومات المستشرق سايل في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم ، ثم في أوائل القرن الثَّامن عشر ١٧٠٩ م عثر (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا على هذه النُّسخة باللغة الإيطالية ، وكان مقيما وقتئذ في إمستردام عند أحد وجهاء المدينة ، وعثر على هذه النُّسخة عنده في مكتبته وأهداها كريمر إلى الأمير (ايوجين سافوى) لولعه بالعلوم والآثار التَّاريخية . ثم انتقلت هذه النُّسخة فيما بعد عام ١٧٣٨ م مع جميع مكتبة ذلك الأمير إلى مكتبة البلاط الملكي في ڤينا حيث هي موجودة الآن ، ثم ترجمت بعد إلى الإنجليزية وعنها إلى العربيَّة من قبل الدكتور خليل سعادة وهو لبنانيٌّ نصرانيٌّ .

وكان يُوجَدُ لهذا الكتاب نسخة أخرى بالأَسبانية ، يظن أنَّها منقولة عن الإيطالية عُثِرَ عليها في أوائل القرن الثَّامن عشر أيضا ، وكانت عند رجل يُدعَى الدُّكتور « هلم » أهداها إلى المستشرق (سايل) ثم دفعها هذا بدوره إلى الدكتور « منكهوس » الَّذي ترجمها إلى الإنجليزيَّة ودفعها مع ترجمتها عام ١٧٨٤ م إلى الدكتور « هويت » أحد مشاهير الأساتذة في اكسفورد ببريطانيا وعنده اختفت هذه النُّسخة مع ترجمتها . وقد أورد الدكتور « هويت » مقتطفات عديدة منها في دروسه ـ كما ذكر ذلك خليل سعاده . مترجم الكتاب إلى العربيَّة .

وحين ظهر هذا الإنجيل أحدث دويًّا في الأوساط النَّصرانيَّةِ لما فيه من المضادة لعقائدهم فحاولوا دفعه بوسائل كثيرة ، وممَّا زعموه : أنَّه تأليف عربيٌّ مسلم ، أو يهوديٌّ أندلسيٌّ تنصَّر ثم أسلم[١]. وهذا في الواقع من التَّخرُّصات ويدلُّ على بطلانها أمور منها :

١ـ لماذا يؤلِّفُ رجلٌ أسلم كتابًا للنَّصارى ويفتري الكذب وهو قد دخل في الإسلام

٢ـ إنَّ فيه معلومات غير موجودة في كتب اليهود والنَّصارى الآن .

٣ـ إنَّ مترجم الكتاب إلى العربيَّة وهو خليل سعادة النصرانيّ قد وصف صاحب الإنجيل بأنَّه على إلمام واسع جدًّا بالعهد القديم والنّصرانيّة أكثر ممن نذروا نفسهم للدِّين النَّصرانيِّ وتفسيره وتعليمه ، حتَّى إنَّه لينذرُ أن يكون فيهم من يقرب من إلمام صاحب هذا الإنجيل ، فكيف يكون مسلمًا وله هذا الإلمام الواسع ؟!

٤ ـ إنَّ ممَّا يدفع أن يكون صاحبه مسلم أنَّ فيه أَخطاءً لايمكن أن تقع من المسلم لبداهتها ، ومنها قوله : إنَّ السَّموات عشرة ، وخلطه بين اسم ميخائيل وميكائيل ويقول أدريل بدل إسرافيل . وعلى كُلِّ حال فهذا كتاب ظهر في بلاد نصرانيَّة وبخط ولغة نصرانيَّة ، ولم يَرِدْ عن أحد من المسلمين أنَّه اطَّلع عليه على سعة اطِّلاع علماء المسلمين وحرصهم على الرَّدِّ على النَّصارى ، وهو بلا شَكَّ ممَّا يظهره اللَّه عزَّ وجَلَّ لإرغام أنوفهم وكشف زيفهم أمام أنفسهم .

٣ـ أهمُّ مبادئه :

الَّذِي جعل النَّصارى يحملون على هذا الإنجيل ويتنصَّلون منه هو مخالفته

(١) انظر المقدمة المطبوعة مع الإنجيل للدكتور خليل سعادة فقد ذكر هذه المعلومات السَّابقة كما ذكر أَيضًا ذلك الزَّعم بأنَّ مؤلفه مسلم كتبه ونحله النَّصارى .

لأناجيلهم وعقيدتهم في أخطر وأهم نقاطها وهي :

أوّلًا : أنَّه صرَّح بأنَّ المسيح عليه السَّلام إنسان وليس بإله ولا ابن إله ، وبيَّن أنَّ سبب تأليف إنجيله كان لردِّ هذه الفرية الَّتي أطلقها بولس مغ غيرها من الافتراءات كترك الختان وأكل اللحوم النَّجِسَة[١] .

ثانيًا : أنَّ الذَّبيح هو إسماعيل ، وليس إسحاق ، كما هو زعم اليهود في كتابهم[٢] .

ثالثا : التَّصريح بالبشارة بالنَّبِيِّ ﷺ باسمه وأنَّه المسيح المنتظر[٣] .

رابعا : أنَّ المسيح لم يُصلَبْ ، وإنَّما رُفِعَ إلى السَّماء ، وأنَّ الَّذي صُلِبَ هو يهوذا الاسخريوطي ، حيث أُلقِيَ عليه شبه المسيح حتَّى وقع الشَّكُّ في قلوب التَّلاميذ أنَّ المصلوب هو المسيح ، إلى أن دعى المسيحُ اللَّه أن ينزل ليزيل الشك عن قلوبهم ، فنزل وأخبر تلاميذه وأمه أنَّه لم يمت وأنَّه باق إلى وشك نهاية العالم ، وبقي معهم ثلاثة أيَّام ثم رُفِعَ إلى السَّماء[٤] .

هذه أهم مبادئ هذا الكتاب الَّذي أحدث بمبادئه دويًّا لدى النَّصارى .

أمَّا نحن المسلمين فلا يقدِّم عندنا هذا الكتاب ولا يؤخِّر فنحن مطمئنون لكتاب ربِّنا الَّذي بين أيدينا نعرف به الحقَّ وعلى ضوئه نقيس الحقَّ .

وهذا كتاب لا سند له ولا تاريخ ، ثم هو من تأليف رجل ليس بمعصوم فقد

---

(١) انظر : إنجيل برنابا ص ٣ .

(٢) إنجيل برنابا ص ٦٧ - ٦٨ ، ٣٠٠ .

(٣) إنجيل برنابا ص ٦٩ ، ١٤٦ - ١٤٩ ، ٣١٨ .

(٤) إنجيل برنابا ٣٠٨ - ٣٢٠ .

يخطئ ، ويضلُّ ، وينسى ، وهذه لا تجعل لكتابه قيمة دينيَّة عقائديَّة ، وإنما تجعل له قيمة تاريخيَّة وأدبيَّة ، والله أعلم .

○○○○

المبحث الثَّاني

المجامع النَّصرانيَّة

- المطلب الأوَّل : تعريفها .
- المطلب الثَّاني : أهم المجامع المسكونيَّة .

★★★★

المطلب الأوَّل

تعريفها

المجامع النَّصرانيَّة يعرفها النَّصارى بأنَّها : هيئات شوريَّة[١] في الكنيسة تبحث في الأُمور المتعلِّقة بالدِّيانة النَّصرانيَّة وأَحوال الكنائس[٢] .

والمجامع النَّصرانيَّة نوعان :

١- **مجامع محليَّة** : وهي الَّتي تبحث في الشُّؤون المحليَّة للكنائس الَّتي تنعقد فيها .

٢- **ومجامع مسكونيَّة (عالميَّة)** : تبحث في العقيدة النَّصرانيَّة ومواجهة بعض الأقوال الَّتي يرى غرابتها ومخالفتها للدِّيانة .

وأوَّل المجامع كما يذكر كتاب أَعمال الرُّسل كان مجمع أورشليم الَّذي عقد أيام الحواريِّين من أجل النَّظر في إلزام غير اليهود بالشَّريعة الموسوية أم لا . حيث قرَّر المجتمعون هناك أنَّهم لا يلزمون بالختان ولا بالشَّرائع الموسوية ، وإنَّما يلزمون فقط بالامتناع عن الذَّبح للأَصنام والزِّنى وأَكل المخنوق والدم)[٣] .

---

(١) هكذا يزعم النَّصارى أنَّها هيئات شوريَّة والناظر في تلك المجامع خاصَّة الَّتي بحثت في العقيدة يجد أنَّها تنتهي ولم يتَّفق المجتمعون على الأمور الَّتي بحثت فيكون هناك جبر وموافقة قسرية على قول من تلك الأقوال أو إذا لم يمكن الجبر والقسر يحدث الانقسام بأن تذهب كُلُّ مجموعة بقولها الَّذي جاءت به كما سيتَّضح من دراسة تلك المجامع . وهذا يتنافى مع كونها هيئات شوريَّة إلَّا أن يُقَالَ أنَّها هيئات شوريَّة إلزاميَّة .

(٢) انظر : كتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص ٢٠٣ ، فقد نقل هذا عن تاريخ الأقباط لزكي شنودة ، وكتاب الكنيسة المصريَّة لميشيل جرجس .

(٣) انظر : سفر أَعمال الرسل . الإصحاح الخامس عشر . ويلاحظ أنَّ هذا - إن صدق كاتب سفر الأعمال فيما ذكر - من أوائل التَّحريفات الَّتي أدخلها النَّصارى على دين المسيح عليه السَّلام فهم لم يذكروا دليلًا على ذلك من كلام المسيح عليه السَّلام إنَّما فقط من استحسانهم وآرائهم ، وهذا ما مهَّد لسائر التَّحريفات الَّتي تمت عن طريق المجامع فيما بعد .

المطلب الثَّاني

أهم المجامع المسكونيَّة

١ ـ مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م

كان هذا المجمع أوَّل المجامع المسكونيّة وأخطرها أيضا .

سبب انعقاده :

سبب انعقاده هو التَّعارُض والاختلاف العقائديُّ الموجود في الكنيسة في تلك الأزمان وذلك أنَّه ما إن توقَّف الاضطهاد الواقع على النَّصارى من قبل الرُّومان بمرسوم ميلان[1] . حتَّى ظهر على السَّطح ذلك الخلاف العقائديُّ الكبير بين طوائف النَّصارى ، والَّذي كان يخفيه من قبل الحالة الاضطهاديَّة الواقعة على جميع أصناف النَّصارى والَّذي كان من أسباب رسوخ هذه الانحرافات العقائديَّة كما سيتبيَّن .

وكان أبرز وجوه الاختلاف : ذلك الخلاف والتَّعارض بين دعوة كنيسة الاسكندرية الَّتي كانت تُنَادي بألوهيَّة المسيح على مذهب بولس ، وبين دعوة الأسقف الليبيّ « آريوس » في الاسكندرية أيضا . الَّذي وُصِفَ بأنَّه عالم مثقف ، وواعظ مفوَّه ، وزاهد متقشِّفٌ وعالم بالتَّفسير ، حيث أخذ ينادي بأنَّ اللَّه إله واحد ، غير مولود ، أزليٌّ ، أمَّا الابن فهو ليس أزليًّا وغير مولود من

---

(١) مرسوم ميلان أصدره الإمبراطور قسطنطين والإمبراطور ليسينيوس سنة ٣١٣ م ويقضي بإعطاء المسيحيين الحريَّة في الدِّيانة وإرجاع أملاكهم المغتصبة وإقرار حريَّة الأديان عموما . انظر : نصّ المرسوم في كتاب (تاريخ أوربا للعصور الوسطى) ص ٥٠ ، تأليف د . الباز العريني .

الأب وأنَّ هذا الابن خرج من العدم مثل كُلِّ الخلائق حسب مشيئة اللّه وقصده[١].

و شايع آريوس في دعوته العديد من الأساقفة ، منهم أسقف نيقوميديه المسَمَّى أوسابيوس وغيره .

وكان الإمبراطور « قسطنطين » في ذلك الوقت قد أبدى تعاطفًا قويًّا تجاه النَّصارى ورفع عنهم الاضطهاد واهتمَّ بشؤونهم[٢] فهاله ما رأى من انقسام النَّصارى ، وأدرك خطورة تلك الانقسامات على دولته ، والَّتي كان أخطرها ما كان بين أسقف كنيسة الاسكندرية الكسندروس واريوس وأتباعه .

وقد تطور الخلاف بينهما بأن طلب أسقف الاسكندرية عقد مجمع في الاسكندرية للنَّظر في قضية أريوس ودعوته ، وقرَّر المجمع قطع أريوس من الخدمة ، وهذا جعل أريوس يخرج من الاسكندرية ويتوجَّه إلى آسيا حيث عَقَد في « بثينيه » بآسيا الصُّغرى مشايعوه من الأساقفة مجمعًا قُرِّرَ فيه قبولُ أريوس وأتباعه وكتابة طلب إلى أسقف الاسكندرية برفع الحرمان الَّذي قرَّروه على أريوس[٣]. فهذا ما جعل الإمبراطور قسطنطين يدعو إلى مجمع عام في نيقيه سنة

---

(١) انظر : كتاب تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦١٩) .

(٢) يرى كثير من المؤرِّخين أنَّ أهداف قسطنطين من ذلك التَّقريب للنَّصارى ، كانت أهدافًا سياسيَّة حيث رأى أنَّ الديانة النَّصرانيَّة تنتشر على حساب الأديان الأخرى ، كما أنَّه أراد أن يكونوا عونًا له في القضاء على إمبراطور بيزنطة ليسينيوس . وهذا ما تحقَّق له فيما بعد وكان قسطنطين يعتبر نفسه الكاهن الأعظم للدِّيانة النَّصرانية وهو في نفس الوقت يجمع بين عبادة الشَّمس والانتساب للنصرانية ، ولم يسمح بتعميده إلَّا وهو على فراش الموت على مذهب اريوس وذلك سنة ٣٣٧ م .
انظر : (تاريخ أوربا في العصور الوسطى) تأليف هـ . فيشر ـ ترجمة محمد زياده ص ٦ ـ ٧ .

(٣) انظر : تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦٢١ ـ ٦٢٢) .

٣٢٥ م لبحث هذه القضية .

ـ عدد الحاضرين ومذاهبهم :

اختلف كلام النَّصارى في ذكر عدد المجتمعين فالبعض يرى أنَّ عدد المجتمعين كان ٣١٨ أسقفًا فقط ، وبعضهم يرى أنَّهم ما بين ٣٠٠ ـ ٥٢٠[١]

ويذكر مارى سليمان في كتاب « المجدل » وكذلك ابن البطريق أنَّ عددهم كان (٢٠٤٨) أسقفا[٢]. أمَّا مذاهب الحاضرين فكانت متباينةً تباينًا شديدًا . وكما يقول ابن البطريق بأنَّهم كانوا مختلفين في الآراء والأديان .

ـ **فمنهم من كان يقول** : إنَّ المسيح وأُمَّه إلهان من دون اللَّه وهم البربرانية .

ـ **ومنهم من كان يقول** : إنَّ المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأُولى بانفصال الثَّانية منها وهي مقالة سابليوس .

ـ **ومنهم من كان يقول** : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وإنَّما مرَّ في بطنها كما يمرُّ الماء في الميزاب .

ـ **ومنهم من كان يقول** : إنَّ المسيح إنسانٌ مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وإنَّ الابن من مريم ، ويرون أنَّ اللَّه جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالرُّوح القدس ، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية .

ـ **ومنهم من كان يقول** : إنَّهم ثلاثة آلهة لم تزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما . وهي مقالة مرقيون وأصحابه .

---

(١) انظر : تاريخ الفكر المسيحى (١ / ٦٢١ ـ ٦٢٢) ، وتاريخ الكنيسة ـ لجون لوريمر (٣ / ٤٢) .

(٢) انظر : كتاب أَخبار بطاركة المشرق من كتاب المجدل ص ١٥ ، وكتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » ص ٢١٢ ، وينقل هذا عن ابن البطريق من نقل زكي شنودة في تاريخ الأقباط .

- ومنهم من كان يقول بألوهيَّة المسيح ، وهي مقالة بولس ومقالة الثَّلاثمائة وثمانية عشر أسقفا[١] .

قرارات المجمع ونتيجته :

بعد أن تداول المجتمعون الآراء في ذلك المجمع خرجوا بتقرير ألوهيَّة المسيح عليه السَّلام وأنه ابن اللَّه - في زعمهم - أي من ذات اللَّه[٢] وأنَّه مساوٍ للَّه جلَّ وعلا ، وأنَّه مولود منه غير مخلوق - تعالى اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا .

كما قرَّروا أنَّ هذا الإله تجسَّد بصورة البشر لخلاص النَّاس ، ثم ارتفع إلى السَّماء بعد قيامته من الموت ، كما تمَّ لعن « أريوس » ومشايعيه وحرق كتبه وقد وقع كثير من المجتمعين على هذه القرارات لمناصرة قسطنطين لها ، ويرى ابن البطريق أنَّ (٣١٨) أسقفا فقط هم الَّذين أظهروا هذا القول ووقعوا عليه وخالفهم بقيَّة الأساقفة[٣] ، والبعض الآخر يرى أنَّ الجميع وقعوا عليها ما عدا يوسابيوس أسقف نيقوميدية في قول بعضهم وشخص آخر فقد رفضا التَّوقيع على ذلك النَّصِّ[٤].

(١) كتاب محاضرات في النَّصرانيَّة ص ١٢٤ ، حيث ينقل عن ابن البطريق ، وكذلك نقلها زكي شنودة في كتابه « تاريخ الأقباط » ، ونقلها عنه د . رؤوف شلبي في كتابه « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » ص ٢١٢ .

(٢) يُلاحَظُ هنا أنَّ نَصّ قانون الإيمان الَّذي قرَّروه في ذلك المجمع هو النَّصُّ الَّذي قدَّمه أسقف الإسكندرية القائل بألوهيَّة المسيح . والبعض يذكر أنَّ كلمة « أنَّ الابن من نفس جوهر الأب » وهي الَّتي كان يدور حولها الخلاف الكبير بين أولئك المجتمعين كانت من اقتراح الإمبراطور قسطنطين ، الَّذي كان لا يزال في ذلك الوقت وثنيًّا ، ولم يعلن دخوله في النَّصرانيَّة . وهذا يدلُّنا على مستوى تلك الموافقة الظَّاهريَّة الَّتي وقعت في ذلك المجمع وأنَّها إنَّما كانت لترأس الإمبراطور ذلك المجمع وتدخُّله المباشر فيه . انظر : تاريخ الكنيسة ص ٤٨ .

(٣) انظر : محاضرات في النصرانية ص ١٢٤ .

(٤) انظر : مجمع الشرع الكنسي ص ٤٣ ، تاريخ الكنيسة ص ٤٩ .

وهكذا انتصر في أوَّل الأمر القائلون بألوهيَّة المسيح بمساندة وتأييد الإمبراطور حيث ينصُّ بعض المؤرِّخين على ترأُّسِه لذلك المجمع[١] كما هُزِمُوا فيما بعد بقوَّة الإمبراطور ، ثم عادوا كذلك .

وممَّا يدلُّ على أنَّ المجتمعين في نيقيه لم يقبلوا ذلك القول بألوهيَّة المسيح ولم يكن عند القائلين به حُجَّة مُقنِعَةٌ : أنَّهم كما يذكر القس حنّا الخضرى بعد ذكر الانتصار الَّذي حقَّقه مشايعوا مقولة بولس قال : « **ولكن للأسف الشَّديد كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كُلَّه عن القرارات السنودسية والمجمعية . فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقيه إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم وبدأ كُلٌّ منهم يعلِّمُ ما كان يُعَلِّم به قبلًا بل إنَّ البعض تطرَّف في الهرطقة الَّتي فاقت هرطقة « أريوس » نفسه . فمع أنَّ « أريوس » وبعض أتباعه نُفُوا إلَّا أنَّ الآريوسية بنت عشَّها في حدائق كثيرين من الأَساقفة والرُّعاة** »[٢] .

ولما كان قرار نيقيه بألوهيَّة المسيح فرض بقوة السُّلطان ، فإنَّ السُّلطان وهو الإمبراطور رجع فيما بعد عنه وأمر بعقد مجمع صور سنة ٣٣٤ م وقرر فيه إعادة « أريوس » إلى الكنسية ، وخلع « أثنا سيوس » أسقف الاسكندرية أحد أكبر المدافعين عن عقيدة ألوهيَّة المسيح ، كما أنَّ الإمبراطور نفسه قد عُمِّد وهو على فراش الموت على مذهب « أريوس » حيث عمَّده الأسقف

---

(١) انظر : « تاريخ أوربا في العصور الوسطى » . هـ . فيشر ص ٨ ، و « تاريخ أوربا للعصور الوسطى » د . الباز العريني ص ٧٤ .

(٢) تاريخ الفكر المسيحيى ص ٦٤٣ .

« أوسابيوس النيقوميدى » أَكبر أَنصار أريوس[١] .

وهكذا يتبيَّن أنَّ هذا المجمع الَّذي يُعَدُّ من أخطر المجامع كان ألعوبةً بيد الإمبراطور الوثني الَّذي لم يكن من أهل تلك الملة وقت ترأُّسِهِ ذلك المجمع ، كما أنَّ المجتمعين لم يكونوا يعتمدون على نصوص متَّفقة مقبولة لدى الجميع وإلَّا لتَمَّ الإذعان لمدلولها ، وإنَّما كانوا يعتمدون على تصوراتهم أو تصوُّرات أمثالهم من النَّاس .

٢ . مجمع القسطنطينيَّة

دعا الإمبراطور « ثيودسيوس » سنة ٣٨١ م إلى عقد مجمع القسطنطينيَّة لمواجهة الدَّعوات الَّتي كانت منتشرة بين الكنائس .

منها دعوة « مقدونيوس » الَّذي كان أسقفا للقسطنطينيَّة ، الَّذي نادى بأنَّ الرُّوح القدس مخلوقٌ وليس إلهًا .

ودعوة « صابيليوس » الَّذي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم .

ودعوة « أبوليناريوس » الَّذي كان أسقفا على اللاذقية والشَّام والَّذِي أنكر وجود نفس بشريَّة في المسيح .

فحضر ذلك المجمع مائة وخمسون أسقفًا قرَّروا فيه ألوهيَّة الرُّوح القدس ولعن وطرد من خالف ذلك[٢] فاكْتَمَل بذلك ثالوث النَّصارى .

وكما هو ظاهر فإنَ هذا المجمع عُقِدَ بدعوة من الإمبراطور « ثيودسيوس »

---

(١) انظر : تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦٥٠) ، وتاريخ الكنيسة (٣ / ٥٩) .

(٢) انظر : مجمع الشَّرع الكنسي ص ٢٤٦ ، تاريخ الكنيسة (٣ / ١٠٤ ، ١١١) ، النصرانيَّة من التَّوحيد إلَى التَّثليث ص ١٨٣ .

الَّذي كان قد سنَّ القوانين والتَّشريعات لمصلحة القائلين بألوهيَّة المسيح والمثلِّثين من النَّصارى .

٣ ـ مجمع أفسس سنة ٤٣١ م

انعقد هذا المجمع لمواجهة قول « نسطور » أسقف القسطنطينيَّة ، الَّذى قيل عنه إنَّه كان يقول بأنَّ المسيح له طبيعتان إلهيَّة وإنسانيَّة بشريَّة[١] وأنَّ مريم والدة الإنسان وليست والدة الإله . فعُقِدَ المجمع في أفسس سنة ٤٣١ م بحضور مئة وستِّين أسقفا وقرَّر فيه أنَّ المسيح إله وإنسان ذو طبيعية واحدة وأقنوم واحد وأنَّ مريم أمُّ إلههم وحكم على « نسطور » بالطَّرد من الكنسية[٢] .

ثم عُقِدَ بعده مجامع عديدة في البحث عن طبيعة المسيح منها :

٤ ـ مجمع خلقيدونيه سنة ٤٥١ م

وفي هذا المجمع عادوا للبحث في طبيعة المسيح وقرَّر المجمع فيه : أنَّ المسيح له طبيعتان إلهية وبشريَّة بلا اختلاط ولا تحوُّل ولا انقسام ولا انفصال[٣] ؟! وكان المناصرون لهذا القول هم الأساقفة الغربيين الَّذين لعنوا وطردوا من لا يقول بهذا القول .

---

(١) انظر : كتاب تاريخ الفكر المسيحيّ (٢ / ١٧٠) ، تاريخ الكنيسة (٣ / ٢١٥) . ويذكر البعض أنَّ نسطور كان يرى أنَّ المسيح لم يكن إلٰهًا وإنَّما هو إنسان مملوء من البركة والنِّعمة . انظر كتاب النَّصرانيَّة من التَّوحيد إلى التَّثليث ص ١٨٤ .

(٢) انظر : مجمع الشَّرع الكنسيّ ص ٢٨٨ ، تاريخ الكنيسة (٣ / ٢١٩) ، النَّصرانيَّة من التَّوحيد إلى التثليث ص ١٨٥ .

(٣) انظر إلى الجمع بين المتضادات في عقيدتهم وهو كلام يعادون عليه ويوالون ، وهو هراء مفترى ليس لهم عليه أدنى دليل أو برهان عقليّ أو شرعيّ .

ولم توافقهم الكنائس الشَّرقيَّة على هذا وقد أصرُّوا على قرارهم في مجمع أفسس بأنَّ المسيح طبيعة واحدة إلهيَّة وبشرية ، وهذا من أهم الفوارق بين الكاثوليك القائلين بالطَّبيعتين والأقباط والأرمن والسُّريان القائلين بالطَّبيعة الواحدة[١] .

بعد هذا عقدت مجامع عديدة من أهمها :

٥ ـ المجمع الثَّامن سنة ٨٦٩ م

وكان سبب انعقاده الخلاف بين كنيسة القسطنطينيَّة وكنيسة روما في الرُّوح القدس هل انبثق من الأَب فقط وهو زعم كنيسة القسطنطينية أم من الأَب والابن معًا كما هو زعم كنيسة روما ؟

وقد قرر في هذا المجمع قول كنيسة روما ، بأنَّ المسيح انبثق من الأب والابن معًا ـ ولم يوافق على ذلك بطريرك القسطنطينيَّة .

فانقسمت بسببه الكنيسة إلى قسمين :

١ـ الكنيسة الغربيَّة ويتزعَّمُها البابا في روما وهم الكاثوليك .

٢ـ الكنيسة الشرقيَّة ويتزعَّمها بطريرك القسطنطينية وهم الأَرثوذكس .

٦ ـ المجمع الثَّاني عشر الَّذي عقد سنة ١٢١٥ م

وتقرَّر فيه أنَّ العشاء الرَّبانيَّ يتحوَّل إِلَى جسد ودم المسيح ، وأنَّ الكنيسة البابوية الكاثوليكية تملك حقَّ الغفران وتمنحه لمن تشاء .

---

(١) انظر : مجمع الشَّرع الكنسيّ ص ٣٦٤ ، وتاريخ الكنيسة (٣ / ٢٢٦ ـ ٢٣٢) .

٧ ـ مجمع روما عام ١٧٦٩ م

والَّذي تقرَّر فيه عصمة البابا في روما[١] .

من خلال هذا الاستعراض السَّريع لتلك المجامع النَّصرانيَّة يتبيَّن لنا ما يلي :

١ ـ أنَّ النَّصارى لا يملكون أَدلَّةً صحيحة صريحة في أكثر دعاويهم ، لهذا اختلفوا تلك الاختلافات الخطيرة الَّتي تمسُّ جميع نواحي العقيدة لديهم .

٢ ـ أنَّ ما يستند إِليه النَّصارى ويتحمَّسون له لا يعدو أن يكون فهما خاصًّا يسعى أصحابه لتثبيته عن طريق تلك المجامع ، ولا يخلو الأمر من الأهواء والأغراض الخاصَّة من حبٍّ للرئاسة وفرض السَّيطرة .

٣ ـ أنَّ المجامع لم تكن يومًا من الأيام هيئة شورية يتباحث القسس فيها الآراء ويتوصَّلوا فيها إِلى الحقِّ بأدلَّته ، بل كانت في الأغلب تُعقَد لفرض رأي أو تصوّر عن طريق تلك المجامع وبقوة السُّلطان أو قوة الكنيسة .

٤ ـ أنَّ تلك المجامع كانت أداة بيد الأباطرة الرُّومان يسخِّرونها لرغباتهم في التَّوسُّع والسَّيطرة .

٥ ـ أنَّ تلك المجامع كانت من أعظم أسباب الفرقة وتثبيتها في العالم النَّصرانيِّ ، بحيث أنَّهم لم يخرجوا في واحد منها متَّفقين ، بل كلما اجتمعوا في مجمع من تلك المجامع يزداد اختلافهم وبالتَّالي انقسامهم .

٦ ـ أنَّ المجامع صاغت العقيدة النصرانية بكُلِّ تفاصيلها مما يدلُّ على أنَّ تلك العقيدة بتفاصيلها صنعة بشريَّة لم ينزلها اللَّه عزَّ وجلَّ على المسيح عليه السَّلام .

---

(١) انظر : كتاب « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » ص ٢٥٤ .

٧ ـ أنَّ المجامع النَّصرانيَّة هي المصدر الحقيقيُّ للدِّيانة النَّصرانيَّة المحرَّفة ، لأنَّ تلك الفهوم الَّتي كانت تُقَرَّرُ وتُصدَرُ وفقها القَرَاراتُ لم تكن تَعْتَمِدُ على نصوص قطعية واضحة ، بل أحيانًا كانت تعتمد على نصوص متشابهة وكلام محتمل لأكثر من معنى ويكون من أقلّها احتمالاً المفهوم الَّذي تدَّعيه الكنيسة كما في دعوى ألوهيَّةِ المسيح عليه السَّلام .

وأحيانًا كانت لا تعتمد على أي نَصٍّ موجود لديهم وهو الأكثر ، بل يكون تركيبًا ذهنيًّا وهميًّا أو تصورًا خاطئًا بُنِيَ على تصوُّرٍ خاطئ ، كما في قراراتهم المتعلِّقة بألوهيَّة الرُّوح القدس ، وطبيعة المسيح ، وعصمة البابا ونحو ذلك .

ويصدق عليهم فيما يدَّعونه من عقيدة ، ويشرِّعونه للنَّاس أنَّهم جعلوا أنفسهم أربابًا من دون اللَّه يُحِلُّون ويحرِّمون بدون علم .

فينطبق عليهم قول اللَّه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة : ٣٠ ، ٣١] .

○○○○